جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم- على أمته في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الدكتور

أحمد ماهر سعيد نصر
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد السادس والثلاثون، لعام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٧/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (سورة النساء: ١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠،٧١).

أما بعد:[١]

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله (ﷺ) يفتتح بها خطبه، ويعلمها أصحابه (ﷺ)، وقد وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة وهم: عبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، ونبيط بن شريط، وعائشة (ﷺ) أجمعين، وقد أفرد الألباني (~) هذه الخطبة بمؤلف مستقل ذكر فيه الطرق التي وردت بها هذه الخطبة وتخريجاتها.
انظر خطبة الحاجة التي كان رسول الله (ﷺ) يعلمها أصحابه لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

"فإن الله . تبارك وتعالى . قد أنعم على عباده بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى كما قال الله (ﷻ): ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (النحل: ١٨)، وأعظم نعمة أنعم الله بها على الثقلين الجن والإنس أن بعث فيهم عبده ورسوله وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه محمداً (ﷺ) ليخرجهم به من الظلمات إلى النور وينقلهم من ذل العبودية للمخلوق إلى عز العبودية للخالق (ﷻ) يرشدهم إلى سبيل النجاة والسعادة ويحذرهم من سبل الهلاك والشقاوة وقد نوه الله بهذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة في كتابه العزيز فقال: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، وقال (ﷻ): ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفتح: ٢٨)"[١]، وقد قام . عليه أفضل الصلاة والسلام . بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح للأمة على التمام والكمال فبشر وأنذر ودل على كل خير، وحذّر من كل شر، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد بين (ﷺ) ما تحتاجه الأمة في جميع شئونها حتى قال أبو ذر (رضي الله عنه): "تركنا رسول الله (ﷺ) وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكرنا منه علما".[٢]

---

(١) ما بين العلامتين من كتاب (فضل الصلاة على النبي (ﷺ) وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما ألف فيها لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر ص٥،٦، ط: دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ج٢ ص١٥٥، برقم (١٦٤٧)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية . القاهرة، الطبعة: الثانية)، وصححه= =الألباني

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي (ﷺ): "قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؛ فقال: أجل "لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم".(١)

وقد قال (ﷺ): "ما تركت شيئا يقربكم من الجنة، ويباعدكم عن النار، إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئا يقربكم من النار، ويباعدكم عن الجنة، إلا وقد نهيتكم عنه".(٢)

في (السلسلة الصحيحة ج٤ ص٤١٦، برقم (١٨٠٣)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة: الأولى).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة ج١ ص٢٢٣،٢٢٤ برقم (٢٦٢)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه ج٧ ص٧٩، برقم (٣٤٣٣٢)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد . الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ)، والبيهقي في (شعب الإيمان ج٧ ص٢٩٩، برقم (١٠٣٧٦)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، سنة١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول)، والبغوي في (شرح السنة ج١٤ ص٣٠٣، برقم (٤١١١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط . محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) عن عبد الله بن مسعود (ﷺ) مرفوعاً، وقد أثبت الإمام الألباني (~) صحة هذا الحديث عن النبي (ﷺ) في كتاب (التوسل ص١١٨، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: آلف بينها ونسقها محمد عيد العباسي) فقال: وقد ثبت عنه (ﷺ) أنه قال: (ما تركت شيئا يقربكم..، وكذلك ذكره بلفظ مقارب في كتاب (تحريم آلات الطرب ص١٧٦، ط: مؤسسة الريان بيروت، لبنان/ دار الصديق، الجبيل، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) فقال: ولو كان استعمال الملاهي المطربات أو استماعها من الدين، ومما يقرب إلى حضرة رب العالمين لبينه= =(ﷺ) وأوضحه كمال

وهذا الذي قام به (ﷺ) من إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح للأمة هو حق الأمة عليه كما قال الله ـ تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (المائدة: ٩٩)، وقال: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (النور: ٥٤)، (العنكبوت: ١٨)، وقال: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النحل: ٣٥)، وروى البخاري في صحيحه عن الزهري أنه قال: "من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم"[(١)].

وإذا كان الرسول (ﷺ) قد أدى حق أمته عليه وهو البلاغ، فينبغي على أمته أن تؤدي حقوقه التي أوجبها الله ـ تبارك وتعالى ـ له عليها، ولن تقوم الأمة بتأدية هذه الحقوق دون أن تعرفها، لهذا أردت من باب النصح للمسلمين، وعملاً بقول النبي (ﷺ) "الدين النصيحة" قيل لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".[(٢)] أن أبين بعض هذه الحقوق التي أمر ـ تبارك وتعالى ـ بها الأمة في القرآن الكريم أن تقوم بها تجاه نبيها (ﷺ)، وأن أجمع هذه الحقوق في دراسة موضوعية سائلاً المولى (ﷻ) أن يوفقني في هذا العمل، وأن يذلل لي الصعاب،

الإيضاح لأمته، وقد قال (ﷺ): والذي نفسي بيده ما تركت شيئا يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئا يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا، (انظر صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته}** ج٦ ص٢٧٣٧، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ج١ ص٧٤، برقم (٥٥).

وأن يعصمني من الذلل، وأن يجعل هذا العمل لوجهه مخلصاً، وأن يجعله من الزيغ خالصاً، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

هذا وقد استعنت بالله في كتابة هذا البحث الذي أسميته "حقوق النبي (ﷺ) على أمته في القرآن الكريم دراسة موضوعية" وقسمته إلى مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: في أهمية الموضوع، وخطتي فيه.

المبحث الأول: في بيان الحق الأول من حقوقه (ﷺ) وهو الإيمان به (ﷺ).

المبحث الثاني: في بيان الحق الثاني من حقوقه (ﷺ) وهو طاعته.

المبحث الثالث: في بيان الحق الثالث من حقوقه (ﷺ) وهو وجوب اتباعه (ﷺ) وامتثال سنته والاقتداء بهديه.

المبحث الربع: في بيان الحق الرابع من حقوقه (ﷺ) وهو محبته.

المبحث الخامس: في بيان الحق الخامس من حقوقه (ﷺ) وهو وجوب توقيره وتعظيمه (ﷺ).

المبحث السادس: في بيان الحق السادس من حقوقه (ﷺ) وهو . الصلاة والسلام عليه . صلى الله وسلم وبارك عليه.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

ثم ذيلت البحث **بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.**

واللهَ أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الحق الأول: الإيمان به (ﷺ)

• الأمر بالإيمان به (ﷺ) ضمن سائر الأنبياء

فإن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل (عليه السلام) عندما سأل النبي (ﷺ) قائلاً: "أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

وقد توعد الله (عز وجل) الذين يفرقون بين رسله (تعالى) في الإيمان فيؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض، ووصفهم (تعالى) بالكفر، وأخبر أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فقال . تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾ (النساء: ١٥٠،١٥١).

قال الإمام القرطبي (~) عند تفسيره للآية الكريمة: " نص (تعالى) على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفرا لأن الله (تعالى) فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع (تعالى)، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر".(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة ج١ ص٣٦، برقم (٨).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية . القاهرة.

"فمن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال الله (ﷻ) في وصفهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

ووجه كونهم كافرين . حتى بما زعموا الإيمان به . أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به.

فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقا ذكر عقابا شاملا لهم ولكل كافر فقال: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي.(١)

وكما توعد الله (ﷻ) الذين يفرقون في الإيمان بين رسله (ﷺ)؛ فقد أثنى على المؤمنين على الذين آمنوا بجميع رسله، وأخبر (ﷻ) بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ ﴾.

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ص٢١٢، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

• الأمر بالإيمان به (ﷺ) ضمن سائر الأنبياء

وبعد بيان أن الله (ﻷ) أوجب علينا الإيمان بجميع المرسلين ومن ضمنهم خاتمهم محمد (ﷺ)، أشرع . بمشيئته . تعالى . في ذكر بعض الآيات التي تأمر بالإيمان به (ﷺ) على وجه الخصوص، وما أكثرها في القرآن الكريم؛ فعندما نتأمله نجد أن الله . تبارك وتعالى . قد أوجب على الثقلين . الإنس والجن . الذين أدركتهم رسالة النبي (ﷺ) أن يؤمنوا به، وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

كما نجد أن الحق . تبارك وتعالى . يقرن بين الإيمان به (ﷻ) وبين الإيمان برسوله (ﷺ) في مواضع عدة من القرآن الكريم وهذا كله يدل على فضل الرسول (ﷺ) ومنزلته العالية ومكانته الرفيعة.

يقول الإمام الشافعي (~): "وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه، الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه، بما افترض من طاعته، وحَرَّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به".[(١)]

ومن هذه الآيات قوله (ﷻ): ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨** ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

(١) انظر الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ص٧٣، المحقق: أحمد شاكر، ط: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ .١٩٤٠م.

ففي هذه الآية الكريمة يأمر المولى . تبارك وتعالى . رسوله (ﷺ) أن يبين للناس أسودهم وأحمرهم عربيهم والأعجمي منهم أنه مرسل إلى الناس كافة، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ أي: قل يا محمد لكافة البشر من عرب وعجم، إني رسول الله إليكم جميعا، لا فرق بين نصراني أو يهودي، وإنما رسالتي إلى الناس عامة، وقد جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ما يؤيد عموم رسالته.

أما في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿**وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ** ﴾ (الأنعام: ١٩)؛ أي وأنذر من بلغه القرآن ممن سيوجد إلى يوم القيامة من سائر الأمم وفي ذلك دلالة على عموم رسالة النبي (ﷺ) وعلى أن أحكام القرآن تعم الثقلين إلى يوم الدين.

وأما في السنة فمن ذلك ما رُوي عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ".(١)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في أول كتاب التيمم ج١ص١٢٨، برقم (٣٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ج١ ص٣٧٠، برقم (٥٢١)، واللفظ للبخاري.

وفي صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعري (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار".(١)

قال الإمام ابن كثير: "والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه رسول إلى الناس كلهم".(٢)

ثم وصف الله تعالى ذاته بما هو أهل له من صفات القدرة والوحدانية فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾؛ أي: قل . يا محمد . للناس إني رسول إليكم من الله الذي له التصرف في السموات والأرض، والذي لا معبود بحق سواه والذي بيده الأحياء والإماتة، ومن كان هذا شأنه فمن الواجب أن يطاع أمره، وأن يترك ما نهى عنه، وأن يصدق رسوله. ثم بنى (ﷻ) على هذه النعوت الجليلة التي وصف بها نفسه الدعوة إلى الإيمان فقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أي: فآمنوا أيها الناس جمعا بالله الواحد الأحد وآمنوا . أيضا برسوله محمد (ﷺ) النبي الأمي الذي يؤمن بالله، وبما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه واسلكوا سبيله، واقتفوا آثاره، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه رجاء أن تهتدوا إلى الصراط المستقيم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام ج١ ص١٣٤، برقم (١٥٣).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ج٣ ص٤٤٠، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون . بيروت.

وفي وصفه (ﷺ) بالأمية مرة ثانية[١]، إشارة إلى كمال علمه، لأنه مع عدم مطالعته للكتاب، أو مصاحبته لمعلم. فتح الله له أبواب العلم، وعلمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم التي تعلمها الناس عنه، وصاروا بها أئمة العلماء وقادة المفكرين، فأكرم بها من أمية تضاءل بجانبها علم العلماء في كل زمان ومكان.

وبذلك تكون الآية الكريمة والتي قبلها قد وصفتا رسول الله (ﷺ) بأشرف الصفات وأقامتا أوضح الحجج وأقواها على صدقه في نبوته، ودعتا اليهود بل الناس جميعا إلى الإيمان به لأنه قد بشرت به الكتب السماوية السابقة ولأنه (ﷺ) ما جاءهم إلا بالخير، وما نهاهم إلا عن الشر، ولأن شريعته تمتاز باليسر والسماحة، ولأن أنصاره وأتباعه هم المفلحون، ولأن رسالته عامة للجن والإنس، ومن كانت هذه صفاته، وتلك شريعته، جدير أن يتبع، وقمين أن يصدق ويطاع، وما يعرض عن دعوته إلا من طغى وآثر الحياة الدنيا.[٢]

ويقول (ﷻ): ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (التغابن: ٨)

ففي هذه الآية يأمر المولى . تبارك وتعالى . "بالإيمان به ورسوله وكتابه، وسمى الله (ﷻ) كتابه نورًا، وذلك لأن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يُهتدى بها في ظلمات الجهل

(١) قد سبق وصفه (ﷺ) بالأمية في الآية السابقة لهذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ .... الآية ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

(٢) انظر التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، ج٥، ص٣٩٥،٣٩٦، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة . القاهرة، الطبعة: الأولى.

المدلهمة، ويُمشى بها في حندس[١] الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام، واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي"[٢] ولهذا ختم الله ـ تبارك وتعالى ـ الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أي: "فلا تخفى عليه أعمالكم، وسيحاسبكم على ما كسبت أيديكم من خير أو اكتسبت من شر، فراقبوه وخافوا شديد عقابه".[٣]

ويقول (ﷻ): ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ (الفتح: ٨،٩).

فقد جمع (ﷻ) في الآية الكريمة الحقوق الثلاثة: الحق المختص بالله الذي لا يصلح لغيره، وهو العبادة في قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾، والحق المختص بالرسول، وهو التوقير والتعزير، والحق المشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله.[٤]

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تأمر بالإيمان به (ﷺ).

- **ثمرات الإيمان به (ﷺ)**

---

(١) حندس: الحِنْدِسُ: الظُّلْمَة، وَفِي حَدِيثِ أَبي هُرَيْرَةَ. كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ، (ﷺ)، فِي لَيْلَةٍ ظَلْماء حِنْدِسٍ أَي شَدِيدَةِ الظُّلْمَة؛ وَلَيْلَةٌ حِنْدِسَة، وَلَيْلٌ حِنْدِسٌ: مُظْلِمٌ. انظر لسان العرب (مادة حندس)، ج٦ ص٥٨، ط، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) ما بين العلامتين من تفسير السعدي ص٨٦٦.

(٣) ما بين العلامتين من تفسير المراغي ج٢٨ ص١٢٣،١٢٤، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٣٢٥.

وقد رتب الله (ﷻ) على الإيمان به وبرسوله (ﷺ) العديد من الثمرات العظيمة والنتائج الكريمة منها:

أولاً: أن الذين يجمعون بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإنفاق في سبيل الله لهم أجر كبير، وهو الجنة.

يقول الله (ﷻ): ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾ (الحديد: ٧)

ففي هذه الآية الكريمة: يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحثهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب، فقال: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والنفقة في سبيله، ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾، أعظمه وأجله رضا ربهم، والفوز بدار كرامته، وما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين والمجاهدين.[١]

ثانياً: أن الذين يجمعون بين تقوى الله – تبارك وتعالى– والإيمان برسوله (ﷺ) قد وعدهم الله "أن يؤتيهم نصيبين من رحمته.. وأن يجعل لهم نورا يمشون به، فيهديهم إلى ما يسعدهم في كل شئونهم، وأن يغفر لهم ما سبق من ذنوبهم.. فضلا منه وكرما".[٢]

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٨٣٨.

(٢) انظر التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، ج١٤ ص٢٣٤.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحديد: ٢٨)

ثالثاً: أن الله (ﷻ) قد وعد من أجاب داعي الله محمدا (ﷺ) وآمن به، وبما جاء به من الحق ـ بغفران الذنوب والإجارة من العذاب الأليم.

يقول (ﷻ) على لسان الجن: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأحقاف: ٣١).

"فمنطوق هذه الآية يفيد أن من أجاب داعي الله محمدا (ﷺ) وآمن به، وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم. ومفهومها، أعني مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار ."[1]

• التحذير من الكفر به (ﷺ).

وكما أمر الله (ﷻ) بالإيمان بنبيه (ﷺ) وبين ثمرات هذا الإيمان، فقد حذر ـ تبارك وتعالى ـ تحذيراً شديداً من عدم الإيمان به (ﷺ)؛ فقال (ﷻ): ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ ﴾ (الفتح: ١٣)

يعني: "ومن لم يصدق بالله ورسوله فإنا أعددنا للكافرين نارا مسعورة موقدة ملتهبة، وكان الظاهر أن يقال: فإنَّا أعددنا لهم، فعدل عن ذلك إلى الظاهر وهو

---

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٢٣٦، ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ـ لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

لفظ (الكافرين) إيذانا بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله . سجانه . والإيمان برسوله (ﷺ) فهو كافر مستحق للسعير بكفره.(١)

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول (ﷺ) وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله (ﷻ)، ولذلك كان أول أركان الإسلام " شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".(٢)

---

(١) انظر التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٩ ص٩٩٢،٩٩٣ ، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م).

(٢) دل على هذا حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي (ﷺ) (بني الإسلام على خمس) ج١ ص١٢، برقم (٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي (ﷺ) بني الإسلام على خمس ج١ ص٤٥، برقم (١٦).

المبحث الثاني

الحق الثاني: طاعته (ﷺ)

فإن الله . تبارك وتعالى . قد أخبر أن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع؛ فقال (ﷻ): ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ** ﴾ (النساء: ٦٤).[١]

وإذا تدبرنا القرآن الكريم نجد أن الله (ﷻ) قد افترض على الناس طاعة رسوله، وحتَّم عليهم اتباع أمره وذلك في آيات كثيرة من الكتاب الكريم.

قال الإمام أحمد بن حنبل (~): "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول (ﷺ) ثلاثة وثلاثين موضعا".[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (~): "وقد أمر الله بطاعة رسوله (ﷺ) في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن وقرن طاعته بطاعته وقرن بين مخالفته ومخالفته كما قرن بين اسمه واسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه".[٣]

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص١٨٤.

(٢) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ص٥٦، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي . المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ج١٩ ص١٠٣، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ومن هذه الآيات التي تأمر بطاعة الرسول (ﷺ) قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٢)؛ فهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ (الحج: ٤) فلهذا قال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي ".[١]

ومن الآيات أيضاً قوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء: ٥٩)؛ فأمر الله ـ تبارك تعالى ـ في هذه الآية بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص١٢٨.

في ضمن طاعة الرسول؛ إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه (ﷺ) أنه قال: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"[(١)] وقال: "إنما الطاعة في المعروف"[(٢)] وقال في ولاة الأمور: "من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة".[(٣)]، وقد "أخبر (ﷺ) عن الذين أرادوا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١٨ ص١٧٠، برقم (٣٨١)، والشهاب القضاعي في (مسنده ج٢ ص٥٥، برقم (٨٧٣)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة . بيروت) عن عمران بن حصين والحكم بن عمرو الغفاري مرفوعاً، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ج٢ ص١٢٥٠، برقم (٧٥٢٠)، ط: المكتب الإسلامي)، كما أخرجه البغوي في شرح السنة ج١٠ ص٤٤، برقم (٢٤٥٥) عن النواس بن سمعان . رضي الله مرفوعاً . وصححه الألباني في تعليقه على (مشكاة المصابيح ج٢ ص١٠٩٢، برقم (٣٦٩٦)، ط: المكتب الإسلامي . بيروت).

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ج٦ ص٢٦١٢، برقم (٦٧٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ج٣ ص١٤٦٩، برقم (١٨٤٠) عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) بلفظ: "بعث رسول الله (ﷺ) سرية، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارا، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله (ﷺ) أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله (ﷺ) من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (ﷺ)، فقال: "لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف".

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه أحمد في (مسنده ج١٨ ص١٨٢، برقم (١١٦٣٩)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون . إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة

دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها: إنهم لو دخلوا لما خرجوا منها "[(١)] مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم، وظنا أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة

الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م)، وابن ماجة في (سننه، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله ج٢ ص٩٥٥، برقم (٢٨٦٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي) عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) بلفظ: "أن رسول الله (ﷺ) بعث علقمة بن مجزز على بعث وأنا فيهم. فلما انتهى إلى رأس غزاته أو كان ببعض الطريق استأذنته طائفة من الجيش فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي. فكنت فيمن غزا معه فلما كان ببعض الطريق أوقد القوم نارا ليصطلوا أو ليصنعوا عليها صنيعا. فقال عبد الله (وكانت فيه دعابة) أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا بلى. قال فما أنا بآمركم بشيء إلا صنعتموه؟ قالوا نعم. قال فإني أعزم عليكم إلا تواثبتم في هذه النار فقام ناس فتحجزوا. فلما أنهم واثبون قال أمسكوا على أنفسكم. فإنما كنت أمزح معكم. فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي (ﷺ): فقال رسول الله (ﷺ) "من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه"، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ ص٤١٨، برقم (٢٣١٤)، وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢ ص١٠٥٢، برقم (٦٠٩٩).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ج٦ ص٢٦١٢، برقم (٦٧٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ج٣ ص١٤٦٩، برقم (١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب (ﷺ) بلفظ: "بعث رسول الله (ﷺ) سرية، واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطبا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارا، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله (ﷺ) أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر= =بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله (ﷺ) من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (ﷺ)، فقال: "لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف".

بما لم يرده الآمر (ﷺ) وما قد علم من دينه إرادة خلافه، فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبت وتبين هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا، فما الظن بمن أطاع غيره في صريح مخالفة ما بعث الله به ورسوله؟ ثم أمر تعالى برد ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأخبرهم أن ذلك خير لهم في العاجل وأحسن تأويلا في العاقبة".(١)

قال الإمام السعدي (~) عند تفسيره لهذه الآية: "ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في [ص:١٨٤] معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

---

(١) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ج١ ص٣٨،٣٩ ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.[1]

وقد بين الله (ﷻ) أن طاعة نبيه (ﷺ) طاعة له (ﷻ) فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾؛ ففي هذه يخبر المولى . تبارك وتعالى . عن عبده ورسوله محمد (ﷺ) بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وقد قال رسول الله (ﷺ): "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني"[2]، وأما قوله: ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ أي ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء، كما جاء في

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ج٣ ص١٠٨٠، برقم (٢٧٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ج٣ ص١٤٦٦، برقم (١٨٣٥).

الحديث" من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه"[1].[2]

وكما أمر الله (ﷻ) بطاعة نبيه (ﷺ) فقد حذر تحذيراً شديداً من معصيته؛ فقال (ﷻ): ﴿ **وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾** ﴾ (الأحزاب: ٣٦)
أي ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا ونهيا فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير طريق الهدى والرشاد.[3]

وقال (ﷻ): ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾** ﴾ (النور: ٦٣).

قال الإمام ابن كثير (~): ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ** ﴾ أي عن أمر رسول الله (ﷺ) وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله

---

(١) أخرجه أبو داود في (سننه، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس ج٢ ص٣١٩، برقم (١٠٩٧)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م)، والطبراني في (الدعاء ص٢٩٠، برقم (٩٣٤)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ) عن عبد الله بن مسعود (ﷺ) بلفظ: "كان رسول الله (ﷺ) يقول في الخطبة: «الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنما يضر نفسه، ولن يضر الله (ﷻ) شيئا" وقد صحح الحديث الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٢١.

(٣) انظر تفسير المراغي ج٢٢ ص١٤.

وفاعله كائنا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك".[(١)]

ثمرات طاعته (ﷺ)

فإن الله . تبارك وتعالى . بعد أن أمرنا بطاعة رسوله (ﷺ) قد رتب على الالتزام بطاعته وطاعة رسوله (ﷺ) العديد من الثمرات العظيمة والنتائج الكريمة منها:

أولاً: أن طاعة الرسول (ﷺ) سبب للهداية إلى الحق، والخروج من الضلالة إلى الهدى؛ يقول الله (ﷻ): ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ (النور: ٥٤)؛ والمعنى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ أي لأنه يدعوكم إلى الصراط المستقيم؛ فإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى، وإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرّضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي التبليغ البيّن بنفسه، أو الموضح لما أمرتم به".[(٢)]

ثانياً: أن طاعة الله وطاعة رسوله (ﷺ) سبب من أسباب حصول الرحمة؛ حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٦ ص٨٢.

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٤٠٢، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

﴿١٣٢﴾ (آل عمران: ١٣٢)، والمعنى: "أطيعوا الله في كل ما أمركم به ونهاكم عنه، وأطيعوا الرسول الذي أرسله إليكم ربكم لهدايتكم وسعادتكم، لعلكم بهذه الطاعة تكونون في رحمة من الله، فهو القائل وقوله الحق: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الأعراف: ٥٦)".(١)

ويقول (ﷻ): ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (النور: ٥٦).

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين بإقامة الصلاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم، وأن يكونوا في ذلك مطيعين لرسول الله (ﷺ) أي سالكين وراءه فيما به أمرهم، وتاركين ما عنه زجرهم، لعل الله يرحمهم بذلك، ولا شك أن من فعل هذا، أن الله سيرحمه، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: ٧١).(٢)

ثالثاً: أن طاعة الرسول (ﷺ) سبب للفوز برضا الله (ﷻ) يوم القيامة والأمن من عذابه (ﷻ).

يقول (ﷻ): ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (النور: ٥٢) والمعنى: "ومن يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه، ويخش الله فيما صدر منه من الذنوب فيحمله ذلك على الطاعة وترك

---

(١) انظر التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، ج٢ ص٢٦١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٦ ص٧٤.

المعاصي، ويتقه فى مستأنف أموره، فأولئك الذين وصفوا بكل هذا هم الفائزون برضاه عنهم يوم القيامة، والآمنون من عذابه".[(١)]

قال الإمام السعدي (~) عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ** ﴾ فيصدق خبرهما ويمتثل أمرهما، ﴿ **وَيَخْشَ ٱللَّهَ** ﴾ أي: يخافه خوفا مقرونا بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ﴿ **وَيَتَّقْهِ** ﴾ بترك المحظور، لأن التقوى . عند الإطلاق . يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهي عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة . كما في هذا الموضع . تفسر بتوقي عذاب الله، بترك معاصيه، ﴿ **فَأُوْلَٰٓئِكَ** ﴾ الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، ﴿ **هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾ بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة".[(٢)]

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾** ﴾ (الأحزاب: ٧١).

قال الإمام الرازي (~) عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ فطاعة الله هي طاعة الرسول، ولكن جمع بينهما لبيان شرف فعل المطيع فإنه يفعله الواحد اتخذ عند الله عهدا وعند الرسول يدا وقوله: ﴿ **فَقَدْ**

---

(١) انظر تفسير المراغي، ج١٨ ص١٢٣.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٥٧٢.

﴿ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ من وجهين **أحدهما:** أنه من عذاب عظيم والنجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب.

حتى إن من أراد أن يضرب غيره سوطا ثم نجا منه لا يقال فاز فوزا عظيما، لأن العذاب الذي نجا منه لو وقع ما كان يتفاوت الأمر تفاوتا كثيرا **والثاني:** أنه وصل إلى ثواب كثير وهو الثواب الدائم الأبدي".(١)

رابعاً: أن طاعة الرسول (ﷺ) سبب من أسباب الفوز بالجنة والخلود فيها.

يقول المولى . تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ ﴾ (النساء: ١٣)

ومعنى الآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ بامتثال أمرهما الذي أعظمه طاعتهما في التوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها واجتناب نهيهما الذي أعظمُه الشرك بالله، ثم المعاصي على اختلاف طبقاتها ﴿ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ فمن أدى الأوامر واجتنب النواهي فلا بد له من دخول الجنة والنجاة من النار. ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي حصل به النجاة من سخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي لا يصفه الواصفون".(٢)

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للرازي، ج٢٥ ص١٨٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص١٧٠.

خامساً: أن طاعة الرسول (ﷺ) سبب من أسباب مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جنات النعيم.

يقول (ﷻ): ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء: ٦٩)

والمعنى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ بالانقياد لأمره ونهيه، ويطع الرَّسُولَ في كل ما جاء به من ربه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المطيعون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالنعم التي تقصر العبارات عن تفصيلها وبيانها.

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بيان للمنعم عليهم الذين يكون المطيع في صحبتهم ورفقتهم.

أي: فأولئك المتصفون بتمام الطاعة لله ـ تعالى ـ ولرسوله (ﷺ)، يكونون يوم القيامة في صحبة الأنبياء الذين أرسلهم الله مبشرين ومنذرين فبلغوا رسالته ونالوا منه (ﷻ) أشرف المنازل.

وبدأ (ﷻ) بالنبيين لعلو درجاتهم، وسمو منزلتهم على من عداهم من البشر.

وقوله: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ جمع صديق وهم الذين صدقوا بكل ما جاء به الرسول (ﷺ) تصديقا لا يخالجه شك، ولا تحوم حوله ريبة، وصدقوا في دفاعهم عن عقيدتهم وتمسكهم بها، وسارعوا إلى ما يرضى الله بدون تردد أو تباطؤ.

وقوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ جمع شهيد. وهم الذين استشهدوا في سبيل الله، ومن أجل إعلاء دينه وشريعته.

وقوله: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ جمع صالح. وهم الذين صلحت نفوسهم، واستقامت قلوبهم وأدوا ما يجب عليهم نحو خالقهم ونحو أنفسهم ونحو غيرهم.

هؤلاء هم الأخيار الأطهار الذين يكون المطيعون لله ولرسوله في رفقتهم وصحبتهم".(١)

(١) انظر التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ج٣ ص٢٠٩، ٢١٠.

المبحث الثالث

الحق الثالث: وجوب اتباعه (ﷺ) وامتثال سنته والاقتداء بهديه

جاء الأمر من الله ـ تبارك وتعالى ـ بوجوب اتباع رسوله (ﷺ) وامتثال سنته، والاقتداء بهديه، والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز منها:

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران: ٣١).

٢- وقوله (ﷻ): ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

٣- وقوله (ﷻ): ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

٤- وقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: ٧).

فهذه الآيات الكريمة تضمنت توجيهات عديدة في حث المسلمين على اتباع رسولهم (ﷺ) والتأسي به؛ فالآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ قد بينت أن أول علامات محبة العبد لربه، هي اتباع رسوله (ﷺ) في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال ـ كما بينت أن هذا الاتباع يؤدى إلى محبة الله ـ تعالى ـ لهذا العبد وإلى

مغفرة ذنوبه، ومحبة الله لعبده هي منتهى الأماني، وغاية الآمال، ولذا قال بعض الحكماء: "ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب".

فهذه الآية كما قال الإمام ابن كثير (~): "حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[(١)]، ولهذا قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي باتباعكم الرسول (ﷺ) يحصل لكم هذا كله من بركة سفارته".[(٢)]

وللعلامة الشيخ محمد أبو زهرة (~) كلام جميل في تفسير هذه الآية حيث قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ الأمر للنبي (ﷺ)، وجعل (ﷻ) الخطاب منه للنبي (ﷺ) إليهم لبيان شرف النبوة وعلوها، ومكانة الاتصال بينها وبين الله (ﷻ)، إذ جعل اتباع الرسول يكون من نتائجه محبة الله ـ تعالى.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ج٣ ص١٣٤٣، برقم (١٧١٨).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٢ ص٢٦،٢٧.

وكون النبي (ﷺ) هو الذي يخاطب بذلك ويقرره، وأن الله تعالى يمضي ما يقرره، علو بمقام الرسالة المحمدية، وبمقام النبوة؛ لأن فيه إشعارا بعظم محبة الله لنبيه، وأنها فوق كل محبة؛ فإذا كان من يتبعه يحبه، فهو إذن في أعلى درجات المحبة، ولأن فيه بيان أقوى الاتصال، لأن خطابه لهم هو خطاب من الله لهم، بدليل أن المحبة من الله تجيء نتيجة لاتباعه الذي دعا إليه (ﷺ).

وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيه إيجاز معجز، وهو إيجاز حذف دل عليه المقام؛ لأن المعنى: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، وإن اتبعتموني يحببكم الله؛ لأن جواب فعل الأمر في معنى الجزاء، فكان ثمة فعل شرط مقدر، وإن هذه الجملة السامية تدل على ثلاثة أمور:

أولها: أن أول طرق محبة الله تعالى هو اتباع الرسول (ﷺ)، لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى جلت قدرته، وعصيان الرسول عصيان لله تعالى، وليس من المعقول أن يحب الله تعالى ويعصيه؛ ولذلك يقول الشاعر الصوفي:

تعصى الإلهَ وأنت تُظهر حُبَّهُ * هذا لعَمْرِي في القِيَاس بَدِيعُ
لـو كانَ حُبُّك صادقًا لأطَعْتَهُ * إن المحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ.[1]

---

(١) هذان البيتان مختلف في نسبتهما؛ حيث نسبا إلى محمود الوراق، ووجدتهما في ديوانه في الشعر المختلف في نسبته إلى وإلى غيره. انظر ديوان محمود الوراق، ص٢٢٧، جمع ودراسة وتعليق: ا.د. وليد قصاب، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ . ١٩٩١م، إخراج مؤسسة الفنون بعجمان، كما نسبا أيضاً إلى الإمام الشافعي ووجدتهما في ديوانه، مع زيادة بيت يقول فيه: في كُلِّ يَومٍ يَبتَديكَ بِنِعمَةٍ... مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ، انظر ديوان الإمام الشافعي ص٩٦، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، ط: مكتبة ابن سينا . القاهرة، ونسبا كذلك إلى الإمام عبد الله بن المبارك، ووجدتهما في ديوانه، ص١٤٧ في الشعر المختلف في نسته إليه وإلى غيره. انظر ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك، ص١٤٧،١٤٨، جمع وتحقيق ودراسة: ا.د مجاهد مصطفى بهجت، ح: مجلة البيان، سنة ١٤٣٢هـ.

الأمر الثاني: الذي يدل عليه النص الكريم: أن الطاعة ومحبة العبد لربه يترتب عليهما حتما محبة الله (ﷻ) لعبده، وأي منزلة للطاعة أسمى من أنه يتبعها حتما محبة الله (ﷻ).

الأمر الثالث: الذي يدل عليه النص القرآني: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أن من يصل إلى مرتبة المحبة التي تبتدئ بالطاعة وتنتهي بمحبة الله ـ تعالى ـ يغفر له الله (ﷻ) كل ما كان له من تقصير سابق وإثم قد جلته المحبة عن القلب؛ وذلك لأن السيئات أدران تعلق بالقلب، فإذا وصل إلى درجة محبة الله ـ تعالى ـ بعد قيامه بحق الطاعات، انصهر قلبه بهذه المحبة، وإذا انصهر القلب بالمحبة زال عنه كل خبث ومحي كل درن، فصفا، والله (ﷻ) يغفر لمن يصل إلى هذه المرتبة. ولقد ذيل الله (ﷻ) الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: وصفان كريمان للذات العلية: أولهما أنه غفور؛ أي أنه كثير الغفران لعباده؛ لأن فعول تدل على المبالغة، ووصف الله تعالى نفسه بهذا الوصف للإشارة إلى أنه يحب من عباده الطاعة، ويحب من عباده التوبة، فهو ليس كحكام الدنيا الذين يفرضون العقاب ولا يتمنون لرعاياهم الخلاص منه، بل يتمنون إنزال العقوبة بهم، والله (ﷻ) وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم يقبل التوبة عن عباده، ويحب المغفرة، ولذلك وصف بالتواب، فالعقاب ليس لذاته، ولكن لكيلا يتساوى المسيء بالمحسن، وليحمل المسيء على الطاعة ويستمر المحسن على إحسانه.

والوصف الثاني: الذي وصف به ذاته العلية: أنه رحيم، وكان من رحمته أن قبل التوبة وغفر الذنب، ومن رحمته أنه أرسل الرسل بالبينات ليقيموا القسط بين الناس، وَيُعَلِّمُوا هذه الشرائع التي بها صلاح الدنيا، وبها تقوم على الخير والفضيلة، ولذا قال (ﷻ): ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء:

١٠٧) وكان من رحمته أن سنَّ العقاب للمسيء المستمر على إساءته الموغل في الفساد، فإن من يفسد في الأرض يكون من الرحمة عقابه، ومن لا يرحم الناس كان من مقتضى الرحمة بالناس أن لَا يرحم؛ ولذا قال النبي (ﷺ): "من لَا يَرحم لَا يُرحم"[1].[2]

وأما الآية الثانية وهي قوله (ﷻ): ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

فجاء الأمر فيها من الله . تبارك وتعالى . إلى الناس كافة بعد أمرهم بالإيمان به وبرسوله النبي الأمي بإتباع سيد الخلق نبيه محمد (ﷺ) فقال (ﷻ): ﴿ وَاتَّبِعُوهُ ﴾، ومعنى اتباعه (ﷺ): هو الاقتداء به فيما جاء به من عقائد وأفعال وأقوال، هذا هو معنى الاتباع، ثم بين (ﷻ) ما يترتب على الإيمان والاتباع من الهداية فقال (ﷻ):﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: لأجل أن تهتدوا، أو على رجائكم أن تهتدوا إلى الصراط المستقيم .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ ص٢٢٣٥، برقم (٥٦٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته (ﷺ) الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ج٤ ص١٨٠٨، برقم (٢٣١٨) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) بلفظ: "قبل رسول الله (ﷺ) الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله (ﷺ) ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم".

(٢) انظر زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ج٣ ص١١٨٤ . ١١٨٥، ط: دار الفكر العربي.

قال الإمام البيضاوي (~): ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة".[1]

وقال الشيخ المراغي (~):وبعد أن أمرهم (ﷺ) بالإيمان أمرهم بالإسلام فقال: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي واسلكوا طريقه، واقتفوا أثره في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين رجاء اهتدائكم بالإيمان وباتباعه إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة وتلك هي الثمرة التي تجنى منهما، فما آمن قوم بنبي إلا كانوا بعد الإيمان به خيرا مما كانوا قبله من العزة والكرامة في دنياهم وسعادتهم في آخرتهم بنيل رضوان ربهم والحظوة بالقرب منه.

وليس من التشريع الذي يجب فيه امتثال الأمر واجتناب النهى . ما لا تعلق له بحق الله ولا حق خلقه من جلب مصلحة أو دفع مفسدة كمسائل العادات والزراعات والصناعات والعلوم والفنون المبنية على التجارب وما جاء فيها من أمر ونهى فهو إرشاد لا تشريع، وقد ظن بعض الصحابة أن إنكار النبي (ﷺ) لبعض الأمور الدنيوية المبنية على التجارب من قبيل التشريع كامتناعهم عن تلقيح النخل حين نهاهم عنه فأشاص . أي خرج ثمره شيصا رديئا . فراجعوه فأخبرهم أن ما قاله كان عن ظن ورأى، لا عن تشريع ووحي، وقال لهم: " أنتم أعلم بأمور دنياكم"[2]

---

(١) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٣ ص٣٨، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨ هـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ،باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ماذكره (ﷺ) من معايش الدنيا، على سبيل الرأي ج٤ ص١٨٣٦، برقم (٢٣٦٣) عن أنس (رضي الله عنه)

والحكمة في ذلك تنبيه الناس إلى أن مثل هذه الأمور الدنيوية والمعاشية متروكة لمعارف الناس وتجاربهم".[١]

وأما الآية الثالثة: وهي قوله (ﷻ): ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

فإنها تعتبر أصلًا عظيماً في إيجاب اتباع رسول الله (ﷺ)، والتأسي به، وعدم مخالفته في قوله أو فعله، فإنه كما قال ـ تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ٤،٥).

قال الإمام ابن كثير (~): "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله (ﷺ) في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي (ﷺ) يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ـ تعالى"[٢].

والذي يقرأ السيرة النبوية الشريفة؛ يرى أن النبي (ﷺ) كان في هذه الغزوة بصفة خاصة، وفي غيرها بصفة عامة القدوة الحسنة الطيبة في كل أقواله وأفعاله وأحواله (ﷺ).

لقد شارك أصحابه في حفر الخندق، وفي الضرب بالفأس، وفي حمل التراب بل وشاركهم في أراجيزهم وأناشيدهم، وهم يقومون بهذا العمل الشاق المتعب، وشاركهم في تحمل آلام الجوع، وآلام السهر.. بل كان (ﷺ) هو القائد الحازم

مرفوعاً بلفظ: مر بقوم يلقحون، فقال: "لو لم تفعلوا لصلح" قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟ "قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم".

(١) انظر تفسير المراغي، ج٩ ص٨٦.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٦ ص٣٥٠.

الرحيم، الذي يلجأ إليه أصحابه عند ما يعجزون عن إزالة عقبة صادفتهم خلال حفرهم للخندق.[١]

قال ابن إسحاق: "وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها تحقيق نبوته (ﷺ) فكان فيما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث، أنهم اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية . أي صخرة عظيمة .، فشكوا ذلك إلى رسول الله (ﷺ) فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فو الذي بعثه بالحق نبيا لانهالت . أي: لتفتت . حتى عادت كالكثيب . أي كالرمل المتجمع . لا ترد فأسا ولا مسحاة"[٢].

فهذه الآية الكريمة وإن كان نزولها في غزوة الأحزاب، إلا أن المقصود بها وجوب الاقتداء بالرسول (ﷺ) في جميع أقواله وأفعاله، كما قال . تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ والمراد بمن كان يرجو الله واليوم الآخر: المؤمنون الصادقون الذين وفوا بعهودهم.

أي: لقد كان لكم . أيها الناس . قدوة حسنة في نبيكم (ﷺ) وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان الذين يرجون ثواب الله . تعالى . ويؤملون رحمته يوم القيامة، إذ هم المنتفعون بالتأسي برسولهم (ﷺ) وقوله: ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

---

(١) انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، ج١١ ص١٩٣.

(٢) انظر (السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ج٤ ص١٧٤، ١٧٣، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ط: دار الجيل . بيروت، سنة النشر ١٤١١هـ)، (السيرة النبوية من البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج٣ ص١٨٦، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦م).

معطوف على ﴿ كَانَ ﴾، أى: هذه الأسوة الحسنة بالرسول (ﷺ) ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر، ولمن ذكر الله ـ تعالى ـ ذكرا كثيرا، لأن الملازمة لذكر الله ـ تعالى ـ توصل إلى طاعته والخوف منه (ﷻ)، وجمع (ﷻ) بين الرجاء والإكثار من ذكره، لأن التأسي التام بالرسول (ﷺ) لا يتحقق إلا بهما".[١]

وأما الآية الرابعة: وهي قوله ـ تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: ٧)

فقد أوجبت الاتباع المطلق للنبي (ﷺ) فما أمر به من شيء فإن علينا فعله وما نهى عن شيء فإن علينا تركه واجتنابه، فهو لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر.

قال الإمام الشنقيطي (~): "إن السنة كلها مندرجة تحت هذه الآية الكريمة، أي: أنها ملزمة للمسلمين العمل بالسنة النبوية، فيكون الأخذ بالسنة أخذا بكتاب الله، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ٤،٥).

وقد قال السيوطي: الوحي وحيان: وحي أمرنا بكتابته، وتعبدنا بتلاوته، وهو القرآن الكريم، ووحي لم نؤمر بكتابته، ولم نتعبد بتلاوته وهو السنة.

وقد عمل بذلك سلف الأمة وخلفها، كما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال في مجلسه بالمسجد النبوي: لعن الله في كتابه الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، فقالت امرأة قائمة عنده، وفي كتاب الله؟ قال: نعم، قالت: لقد قرأته من دفته إلى دفته، فلم أجد هذا الذي قلت، فقال لها: لو كنت قرأتيه لوجدتيه، أو

(١) انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، ج١١ ص١٩٤.

لم تقرئي قوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد لعن رسول الله (ﷺ) الواصلة والمستوصلة، ومن لعنها رسول الله فقد لعنها الله، فقالت له: لعل بعض أهلك يفعله؟ فقال لها: ادخلي وانظري فدخلت بيته، ثم خرجت ولم تقل شيئا، فقال لها: ما رأيت؟ قالت: خيرا، وانصرفت.

وجاء الشافعي وقام في أهل مكة، فقال: سلوني يا أهل مكة عما شئتم أجبكم عنه من كتاب الله، فسأله رجل عن المحرم يقتل الزنبور ماذا عليه في كتاب الله؟ فقال: يقول الله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقال (ﷺ): " عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين"[١] الحديث، وحدثني فلان عن

(١) قول النبي (ﷺ): "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢٨ ص٣٦٧، برقم (١٧١٤٢)، وابن ماجة في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ج١ ص١٦، برقم (٤٢)، والحاكم في (المستدرك ج١ ص١٧٥، برقم (٣٣١)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا) وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله، باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها ج٢ ص٣٤٧، برقم (١١٩٧)، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان . دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤ . ٢٠٠٣ هـ) عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال قد= =تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد"، وقد صحح الألباني هذا الحديث في السلسلة الصحيحة ج٢ ص٦١٠، برقم (٩٣٧)، وفي صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢ ص٨٠٥، برقم (٤٣٦٣)، وفي ظلال الجنة ج١ ص١٤، برقم (٣٣)، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٣هـ .١٩٩٣م).

فلان، وساق بسنده إلى عمر بن الخطاب، سئل: المحرم يقتل الزنبور ماذا عليه؟ فقال: "لا شيء عليه"[١].[٢]

---

(١) قول الشافعي عن عمر: "أنه قال: للمحرم قتل الزنبور"؛ قد أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى، كتاب الحج، باب ما للمحرم قتله من دواب البر في الحل والحرم ج٥ ص٣٤٧، برقم (١٠٠٥٧)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣م) وذكر الإسناد إلى الشافعي وهو: قال الشافعي حدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب: أنه أمر بقتل المحرم الزنبور؛ وهذا الأثر إسناده صحيح إلى عمر بن الخطاب (ﷺ)، فالراوي عن عمر هو طارق بن شهاب البجلي الأحمسي أبو عبد الله أدرك الجاهلية رأى النبي (ﷺ) وغزا في خلافة أبى بكر (ﷺ) ووثقه يحيى بن معين. (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٤ ص ٤٨٥، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م)، وقد روى عن طارق بن شهاب قيس بن مسلم الجدلي أبو عمرو من بنى قيس عيلان، قال على يعنى بن المديني سمعت يحيى يعنى بن سعيد القطان يقول قيس بن مسلم اثبت حديثا من أبى قيس، وقال صالح بن أحمد سألت أبى عن قيس بن مسلم قال هو ثقة في الحديث، وعن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين انه قال قيس بن مسلم الجدلي ثقة، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبى عن قيس بن مسلم فقال ثقة. (انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٧= =ص١٠٣)، وروى عن قيس مسعر بن كدام وهو ثقة ثبت فاضل (انظر تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٢٨، المحقق: محمد عوامة، ط: دار الرشيد . سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م) وروى عن مسعر سفيان الثوري وهو (ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة). (انظر تقريب التهذيب لابن حجر ج١ ص٢٤٥) وعن سفيان حدث الشافعي (~).

(٢) روى هذا الأثر كاملاً الإمام البيهقي في السنن الكبرى ج٥ ص٣٤٧ ، بلفظ: سلوني عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله، فقيل له ما تقول في المحرم يقتل الزنبور، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر : ٧) ،

فقد اعتبر سعيد بن المسيب السنة من كتاب الله، والشافعي اعتبر سنة الخلفاء الراشدين من سنة رسول الله (ﷺ) وسنة رسول الله (ﷺ) من القرآن، واعتبر كل منهما جوابه من كتاب الله بناء على هذه الآية الكريمة.

وهذا ما عليه الأصوليون يخصصون بها عموم الكتاب، ويقيدون مطلقه.

فمن الأول: قوله (ﷺ): "أُحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدمان: فالكبد والطحال"[1] فخص بهذا الحديث عموم قوله تعالى:

وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي ابن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي (ﷺ) أنه قال: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"، وحدثنا سفيان عن معر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور".

وفي سند هذا الأثر عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري وهو ضعيف، ذكره ابن حجر في (لسان الميزان ج٣ ص٣٤٤،٣٤٥، ط: المحقق: دائرة المعرف النظامية . الهند، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م) وقال: "وروى البرقاني وابن أبي الفوارس عن الدارقطني متروك وقال أبو عبد الرحمن السلمي سألت الدارقطني عن بن ابن وهب الدينوري فقال كان يضع الحديث".

وقول النبي (ﷺ) في هذا الأثر: اقتدوا باللذين من بعدي: "أبي بكر وعمر"

هذا الحديث قد أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣٨ ص٢٨٠، برقم (٢٣٢٤٥)، والترمذي في (سننه، كتاب المناقب عن رسول الله (ﷺ)، باب في مناقب أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) كليهما ج٥ ص٦٠٩، برقم (٣٦٦٢)، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون) عن حذيفة مرفوعاً، وقد حسن الإمام الترمذي إسناد هذا الحديث، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣ ص٢٣٣، برقم (١٢٣٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج١٠ ص١٥ برقم (٥٧٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، جماع أبواب ما يفسد الماء، باب الحوت يموت في الماء والجراد ج١ ص٣٨٤،

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ (المائدة: ٣)، وكذلك في النكاح: " لا تنكح المرأة على عمتها، ولا المرأة على خالتها "[1]، وخص بها عموم: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾ (النساء: ٢٤)، ونحوه كثير.

ومن الثاني: قطعه (ﷺ) يد السارق من الكوع تقييدا لمطلق: ﴿ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ (المائدة: ٣٨)، وكذلك مسح الكفين في التيمم تقييدا أو بيانا لقوله تعالى: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾ (المائدة: ٦)، ونحو ذلك كثير، وكذلك بيان المجمل كبيان مجمل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (البقرة: ٤٣)، فلم يبين عدد الركعات لكل وقت، ولا كيفية الأداء فصلى (ﷺ) على المنبر وهم ينظرون، ثم قال لهم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[2] وحج وقال لهم: "خذوا عني مناسككم"[3].

برقم (١١٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣ ص١١١، برقم (١١١٨)، وفي صحيح الجامع ج١ ص١٠٢، برقم (٢٠٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ج٢ ص١٠٢٩، برقم (١٤٠٨) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة ج١ ص٢٢٦، برقم (٦٠٥) عن مالك بن الحويرث (رضي الله عنه) مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، وبيان قوله (ﷺ) "لتأخذوا مناسككم " ج٢ ص٩٤٣، برقم (١٢٩٧) عن جابر بن عبد الله

وقد أجمعوا على أن السنة أقوال، وأفعال، وتقرير، وقد ألزم العمل بالأفعال قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾، والتأسي يشمل القول والفعل، ولكنه في الفعل أقوى، والتقرير مندرج في الفعل؛ لأنه ترك الإنكار على أمر ما، والترك فعل عند الأصوليين، كما قال صاحب مراقي السعود: والترك فعل في صحيح المذهب".

ثم ذكر (~): "أن العمل بهذه الآية الكريمة من لوازم نطق المسلم بالشهادتين؛ لأن قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، اعتراف لله تعالى بالألوهية وبمستلزماتها، ومنها إرسال الرسل إلى خلقه، وإنزال كتبه وقوله: أشهد أن محمدا رسول الله، اعتراف برسالة محمد (ﷺ) من الله لخلقه، وهذا يستلزم الأخذ بكل ما جاء به هذا الرسول الكريم من الله (ﷻ)، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما جاءه به رسول الله، ولا يحق له أن يعصي الله بما نهاه عنه رسول الله، فهي بحق مستلزم للنطق بالشهادتين.

ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (النساء: ٥٩) فربط مرد الخلاف إلى الله والرسول بالإيمان بالله واليوم الآخر.

وقال الشيخ (~) عند هذه الآية في « سورة النساء »: أمر الله في هذه الآية الكريمة بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله، وسنة نبيه (ﷺ)؛ لأنه تعالى قال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠) انتهى.

(ﷺ) مرفوعاً بلفظ: "رأيت النبي (ﷺ) يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه".

فاتضح بهذا كله أن ما أتانا به (ﷺ) فهو من عند الله، وأنه بمنزلة القرآن في التشريع، وأن السنة تستقل بالتشريع كما جاءت بتحريم لحوم الحمر الأهلية وكل ذي مخلب من الطير وناب من السباع، وبتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، أو هي مع ابنة أخيها أو ابنة أختها ونحو ذلك، وقد قال (ﷺ): "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكة أهله يقول: ما وجدنا في كتاب الله أخذناه، وما لم نجده في كتاب الله تركناه، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه".[١]

---

(١) أصل هذا الحديث الذي ذكره الإمام الشنقيطي (~) مركب من حديثين:

الأول: عن أبي رافع أن رسول الله (ﷺ) قال: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه". وقد أخرج هذا الحديث الإمام الشافعي في (مسنده ص٢٣٣، برقم (١١٥٤)، ط: دار الكتب العلمية . بيروت)، وأحمد في مسنده ج٣٩ ص٣٠٢، برقم (٢٣٨٧٦)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ج٧ ص١٥، برقم (٤٦٠٥)، والترمذي في سننه، كتاب العلم عن رسول الله (ﷺ)، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي (ﷺ) ج٥ ص٣٧، برقم= =(٢٦٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢ ص١٢٠٤، برقم (٧١٧٣).

الثاني: عن المقدام بن معديكرب عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه".

وقد أخرج هذا الحديث أحمد في مسنده ج٢٨ ص٤١٠، برقم (١٧١٧٤)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ج٧ ص١٣، برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١ ص٥١٦، برقم (٢٦٤٣).

والنص هنا عام في الأخذ بكل ما أتانا به، وترك ما نهانا عنه، وقد جاء تخصيص هذا لعموم في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (النور: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وجاء الحديث ففرق بين عموم النهي في قوله (ﷺ): "ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا"[1]، وقد جاء هذا التذييل على هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، إيذانا بأن هذا التكليف لا هوادة فيه، وأنه ملزم للأمة سرا وعلنا، وأن من خالف شيئا منه يتوجه إليه هذا الإنذار الشديد؛ لأن معصيته معصية لله، وطاعته من طاعة الله: من يطع الرسول فقد أطاع الله، والعلم عند الله تعالى".[2]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ج٢ ص٩٧٥، برقم (١٣٣٧) عن أبي هريرة (ﷺ) بلفظ: " خطبنا رسول الله (ﷺ)، فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله (ﷺ): "لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم"، ثم قال: "ذروني ما= = تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه".

(٢) انظر أضواء البيان، ج٨ ص٣٧ . ٤٢ بتصرف.

المبحث الرابع

الحق الرابع: محبته (ﷺ)

محبةُ النبيّ (ﷺ) من أصولِ الإيمانِ، وهي مقارِنة لمحبةِ الله (ﷻ).

وقد قرنها اللَّهُ بها وتوعَّد من قدَّم عليهما محبةَ شيءٍ من الأمورِ المحبوبةِ طبعًا، من الأقاربِ والأموالِ والأوطانِ وغير ذلك.

فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤).

فهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على وجوب محبة الله ورسوله (ﷺ) لأن الله (ﷻ) توعد من قدم على محبتهما شيئاً من الأمورِ المحبوبةِ طبعًا، من الأقاربِ والأموالِ والأوطانِ وغير ذلك.

"وقد سُئل أبو العباس بن سريجٍ؛ فقيل له: "محبةُ اللَّهِ فرضٌ أمْ غيرُ فرضٍ؟ فقال: فرضٌ، فقيل له: ما الدلالةُ على فرضِهَا؟.

فقالَ: قولُه تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾، قال: فتوعدَّهم اللَّهُ (ﷻ) على تفضيلِ محبتهِم لغيرِهِ على محبَّتِهِ ومحبةِ رسولِهِ، والوعيدُ لا يقعُ إلا فرضٍ لازم وحتم واجبٍ".[1]

---

(١) انظر روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جمع= =وترتيب:

قال القاضي عياض (~): "قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا أَبَدًا ..الآية** ﴾ فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالةً وحجةً على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها (ﷺ) إذ قرع . تعالى . من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿ **فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ** ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم من ضل ولم يهده الله".[١]

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله (ﷺ) أن محبته (ﷺ) أصلٌ عظيم من أصولِ الدين وقاعِدَة مهمّة من قواعِدِ الإيمان، وأنه لا يؤمن أحد حتى يكون الرسول (ﷺ) أحب إليه من أهله وولده بل ومن نفسه التي بين جنبيه، فلا يؤمن أحد حتى يكون (ﷺ) أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه ومن كل شيء كائنا ما كان.

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) **أن النبي** (ﷺ): "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".[٢]

أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ج١ ص٤٩٩، ط: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.

(١) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي ج٢ ص١٨،١٩، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول (ﷺ) من الإيمان ج١ ص١٤، برقم (١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله (ﷺ) أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ج١ ص٦٧، برقم (٤٤).

وعنه (رضي الله عنه) **أن النبي** (ﷺ) **قال:** "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".[1]

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي (ﷺ) وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي (ﷺ) "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك"؛ فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي (ﷺ): "الآن يا عمر".[2]

والحبُّ وإن كان من أعمال القلوب فلا بدَّ من ظهور آثارِه على الجوارح قولاً وعملاً، ولا بدَّ من بروز براهين صِدقِه في الحياة ظاهرًا وباطنًا، فهناكَ شواهدُ صحيحةٌ على المحبّة الصادقة، وهناك علامات تؤكِّد صحَّتَها وآثار تظهَر على من اتَّصف بها، فمحبّةُ المؤمن لله ولرسولِه تحمِل على تحصيلِ ما يحبُّه الله جلّ وعلا ويحبّه رسولُه (ﷺ) من أعمال القلوب والجوارِح، وتحمل على اجتنابِ ما يبغضه الله ويُبغضه رسوله من الاعتقادات والأقوال والأعمال.

فالمحبُّ للرسولِ (ﷺ) محبّةً صادقة يكون متَّبِعاً له في منشطِه ومكرهه، في سِرِّه وعلانيته، باذلاً كلَّ ما في وُسعه للوقوف على هديِه واتّباع سنّته، متحرِّيًا في جميع توجُّهاته سنّتَه وسيرته وشرعَه وهديه، فقمَّة السموِّ في حبِّ رسول الله تتضمَّن أن يستعليَ المسلم على رغباتِ النفس وشهواتها، مقدِّمًا هديَ رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ج١ ص١٤، برقم (١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ج١ ص٦٦، برقم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي (ﷺ) ج٦ ص٢٤٤٥، برقم (٦٢٥٧).

وأمرَه على رغباتِ النفس وهواهَا؛ لأنّها محبّةٌ تقتضي وجوبَ وفرضيةَ قبولِ ما جاء به مِن عند الله واتِّباع شرعِه وتلقِّي ذلك بالمحبّة والرِّضا والتعظيم والتسليم، قال الحسن البصريّ وغيره من سلف هذه الأمة: "إنّ قومًا زعموا محبّةَ الله ومحبّةَ رسولِه فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(آل عمران: ٣١).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي (~): "فعلامةُ تقديمِ محبةِ الرسولِ على محبةِ كلِّ مخلوقٍ أنَّه إذا تعارضَ طاعةُ الرسولِ (ﷺ) في أوامر، وداع آخر يدعو إلى غيْرِها من هذه الأشياء المحبوبة، فإنْ قدَّم المرءُ طاعةَ الرسول، وامتثالَ أوامر على ذلكَ الداعِي، كان دليلاً على صحَّةِ محبتِهِ للرسولِ، وتقديمِها على كلِّ شيءٍ، وإن قدَّم على طاعتِهِ وامتثالِ أوامر شيئًا من هذه الأشياءِ المحبوبةِ طبعًا، دلَّ ذلك على عدمِ إتيانِهِ بالإيمانِ التامِّ الواجبِ عليه.

وكذلك القولُ في تعارضِ محبةِ اللّهِ ومحبةِ داعِي الهوى والنفس، فإن محبةَ الرسولِ تبعٌ لمحبةِ مرسلِهِ (ﷻ).

هذا كلُّه في امتثال الواجباتِ، وتركِ المحرَّماتِ، فإن تعارضَ داعِي النفسِ ومندوباتِ الشريعةِ، فإنْ بلغتِ المحبةُ إلى تقديمِ المندوباتِ على دواعِي النفسِ، كان ذلكَ علامةُ كمالِ الإيمانِ، وبلوغِهِ إلى درجةِ المقربينَ المحبوبين المتقربينَ بالنوافلِ بعد الفرائضِ.

وإنْ لم تبلغْ هذه المحبةُ هذه الدرجةِ، فهي درجةُ المقتصدينَ، أصحابِ اليمينِ، الذين كملتْ محبتُهم الواجبةُ، ولم يزيدوا عليها.

وأما محبةُ الرسولِ، فتنشأ عن معرفتِهِ ومعرفةِ كمالِهِ وأوصافِهِ وعظم ما جاءَ به، وينشأُ ذلكَ من معرفةِ مرسلِهِ وعظمتِهِ، كما سبقَ، فإنَّ محبةَ اللَّهِ لا تتمُّ إلا

بطاعتِه، ولا سبيلَ إلى طاعتِهِ إلا بمتابعةِ رسولِهِ، كما قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ).

ومحبةُ الرسولِ على درجتينِ ـ أيضًا:

إحداهُما: فرضٌ، وهي ما اقتضى طاعتَه في امتثالِ ما أمرَ به من الواجباتِ، والانتهاءِ عمَّا نهى عنه من المحرَّماتِ، وتصديقِهِ فيما أخبرَ به من المخبراتِ، والرضا بذلك، وأن لا يجدَ في نفسِهِ حرجًا مما جاءَ بهِ، ويسلِّمَ له تسليمًا، وأن لا يتلقَّى الهُدى من غيرِ مشكاتِهِ، ولا يطلبُ شيئا من الخيرِ إلا ما جاء.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي ما ارتقى بعدَ ذلكَ إلى اتَباع سنتِهِ وآدابِهِ وأخْلاقِهِ، والاقتداءِ به في هديه وسمتِهِ، وحسنِ معاشرتِهِ لأهلِهِ وإخوانِهِ، وفي التخلقِ بأخلاقِهِ الظاهرةِ في الزهد في الدنيا، والرغبةِ في الآخرةِ، وفي جُودِهِ وإيثاره وصفْحِهِ وحِلْمِهِ واحتمالِهِ وتواضعهِ، وفي أخلاقِهِ الباطنةِ، من كمالِ خشيتِهِ للَّهِ، ومحبتِهِ له، وشوقِهِ إلى لقائهِ، ورضاه بقضائِهِ، وتعلقِ قلبه به دائمًا، وصدقِ الالتجاءِ إليه، والتوكلِ والاعتمادِ عليه، وقطع تعلُّقِ القلبِ بالأسبابِ كلِّها، ودوامِ لَهَج القلبِ واللسانِ بذكره، والأنس به، والتنعم بالخَلْوةِ بمُناجاتِهِ ودعائِهِ، وتلاوةِ كتابِهِ بالتدبرِ والتفكرِ.

وفي الجملةِ، فكان خلقه (ﷺ) القرآنُ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكملُ الخلقِ من حقَّقَ متابعتَهُ وتصديقَه قولاً وعملاً وحالاً، وهم الصدِّيقونَ من أُمَّتِهِ، الذين رَأسُهم أبو بكرٍ خليفتُهُ من بعدِهِ".(١)

وقال الإمام السعدي (~) عند تفسيره لهذه الآية والتي قبلها: "يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به،

---

(١) انظر روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ج١ ص٤٩٥ . ٤٩٨.

وتعادوا من لم يقم به، و ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ ﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ﴾ أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ في النسب والعشرة ﴿ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾ أي: قراباتكم عموما ﴿ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا ﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كَدّ.

﴿ وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا ﴾ أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ الذي لا مرد له.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.(١)

المبحث الخامس

الحق الخامس: وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه (ﷺ) في حياته وبعد مماته

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٣٣٢.

إن تعظيم النبي (ﷺ)، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة؛ ذلك لأنه ليس كل محب معظما، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم.

والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.

ترى الوالد يحب ولده، لأنه سلالة منه، وإليه ينسب، وله جمال وقوة وكثرة، فلا يتجاوز أمره معه عن الحب والتكريم إلى التهيب والتعظيم، والولد يحب والده لمعنى فيه بأنه كان سبب كونه ووجوده، والقائم بتربيته وصيانته عن المهالك لموته، والمزيح لهلكه إلى أن بلغ حد الرجال، وعلمه بأنه له، وإليه ينسب، كما يدعي العبد لسيده، والمعتق إلى معتقه، فيتجاوز حاله معه عن التكريم إلى التعظيم، لأنه إذا نقله علم إن هذه حقوق لا سبيل له إلى شكرها وإن نفسه بر بهيبته.

وإذا كان هذا هكذا، فيما بين العبد وسيده، والوالد وولده، فمعلوم أن حق رسول الله (ﷺ) أجل وأعظم وألزم لنا وأوجب علينا، من حقوق السادات على مماليكهم والإماء على أولادهم، لأن الله تعالى، أنقذنا من النار في الآخرة وعظم به أرواحنا وأبداننا وإعراضنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا في العاجلة.

فهذا إثابة لما أطعناه فيه أدى إلى جنات النعيم، فأية نعمة توازي هذه النعمة، وآية منه إلى هذا الشيء. ثم أنه (ﷻ) ألزمنا طاعته وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا بإتباعه الجنة، فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة؟ وأي درجة؟ فحق علينا القول

إذًا أن نحبه ونجله ونعظمه أكثر من إجلال كل عبد سيده، وكل ولد والده وبمثل هذا نطق الكتاب ووردت أوامر الله (ﷻ).[١]

قال الله (ﷻ): ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ (الفتح: ٩)

فقد جمع الله (ﷻ) في هذه الآية الكريمة الحقوق الثلاثة: الحق المختص بالله الذي لا يصلح لغيره، وهو العبادة في قوله: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾، والحق المختص بالرسول، وهو التوقير والتعزير، والحق المشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله.[٢]

أما حق النبي (ﷺ) على أمته وهو أن يكون معززًا موقرًا مهيبًا فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾، وقد اختلف علماء التفسير في المراد بالتعزير في هذه الآية الكريمة وفي آية الأعراف في قوله (ﷻ): ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ

---

(١) انظر (المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبي عبد الله الحَلِيمي ج٢ ص١٢٤،١٢٥، المحقق: حلمي محمد فودة، ط: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩م) بتصرف

(٢) انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ج١ ص٣٢٥، ط: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٧) على أقوال:

الأول: أن المراد بالتعزير: المدح والثناء.[١]

الثاني: أن المراد بالتعزير النصرة، والإعانة، والحماية والمنع من أذى الأعداء.[٢]

وقد استدل القائلون بهذا القول: بأصل الكلمة في اللغة؛ فإن أصلها في اللغة المنع والرد.

قال الإمام ابن الجزري (~): "التعزير: الإعانة والتوقير والنصر مرة بعد مرة، وأصل التعزير: المنع والرد، فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه".[٣]

---

(١) انظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج٥ ص١٩٦، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ لمحمد الأمين الشنقيطي، ج٤ ص٢١٤، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٢ ص٣٨٢، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، معالم التنزيل للبغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ج٣ ص٢٢٨، الناشر:

كما استدلوا أيضاً بآية الفتح بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال في آية الفتح: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾؛ فذكر التعزير وعطف التوقير عليه، والتوقير هو التعظيم، والمعطوف غير المعطوف عليه؛ فدل على أنه غير التعظيم.

قال الإمام أبو إسحاق الزجاج (~): "قال أبو عبيدة: "عَزَّرْتُمُوهُمْ" عظمتموهم، قال غيره: عزرتموهم: نَصَرْتموهم. وهذا هو الحق ـ والله أعلم ـ وذلك أن العَزْر في اللغة الرَّدُّ، وتأْويل عزَّرْت فلاناً ـ أي أَدَّبْتُه ـ فعلت به ما يَرْدَعُه عن القبيح كما أن نَكَّلتُ به، فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاوَدَةِ، فتأويل "عَزَّرْتُمُوهُمْ" نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءَهم.

وقال الله (ﷻ): ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ فلو كان التعزير هو التوقير لكان الأجود في اللغة الاستعانة والنصرة إِذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها، لأن نصرة الأنبياءِ هي المدافعة عنهم والذَبُّ عن دَمِهِم وتعظيمهم وتوقيرهم".(١)

الثالث: أن المراد بالتعزير التعظيم والتبجيل والتفخيم.(٢)

المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج٢ ص١٥٩.

(٢) انظر تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ج٢ ص٢٦٩، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، تفسير السمعاني لأبي المظفر السمعاني ج٢ ص٢٢٢، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، تفسير السعدي ص٣٠٥.

وقد استدل القائلون بهذا القول: بأن الله . تبارك وتعالى . قال في آية الأعراف: ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾؛ فذكر التعزير وعطف النصر عليه؛ والمعطوف غير المعطوف عليه، فدل أنه غير النصر.[١]

الرابع: أن المراد بالتعزير الطاعة.[٢]

وهذه الأقوال متقاربة في المعنى كما ذكر ذلك الإمام الطبري حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ بعد أن ذكر هذه الأقوال: "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها، ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال".[٣]

وأما المراد بالتوقير في قوله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ فقد اختلف العلماء فيه على قولين:

الأول: أن المراد به التعظيم.

الثاني: أن المراد به التسويد والتفخيم.[٤]

وقد جمع بين القولين الإمام ابن جرير الطبري (~) حيث قال: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم".[١]

---

(١) انظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، ج٩ ص٢٩٧، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ج٢٢ ص٢٠٨.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ج٢٢ ص٢٠٨، النكت والعيون للماوردي، ج٥ ص٣١٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (~): "والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار".[2]

وإذا تأملنا القرآن الكريم نجد فيه آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه (ﷺ) وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ **(النور: ٦٣)**

فقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة على أربعة أقوال:

الأول: أن هذه الآية نهي من الله للمؤمنين عن التعرض لدعاء رسول الله (ﷺ) بإسخاطه لأن دعاءه يوجب العقوبة وليس كدعاء غيره.[3]

فكأن الله (ﷻ) يقول لهم: "اتقوا دعاءه عليكم، بأن تفعلوا ما يسخطه، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس، فإن دعاءه موجبة".[4]

وقد رُوي هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[1].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري، ج٢٢ ص٢٠٨.

(٢) انظر الصارم المسلول لابن تيمية، ص٤٢٢.

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي، ج٤ ص١٢٨.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ج١٩ ص٢٣٠، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

ورجحه الإمام الطبري[٢] (~)، واستحسنه الإمام أبو جعفر النحاس (~) حيث قال: " وقوله (ﷻ): ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾؛ قال مجاهد قولوا يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم، وقال قتادة أمروا أن يفخموه ويشرفوه، ويروى عن ابن عباس كان يقول دعوة الرسول عليكم واجبة فاحذروها وهذا قول حسن لكون الكلام متصلاً لأن الذي قبله والذي بعده نهي عن مخالفته أي لا تتعرضوا لما يسخطه فيدعو عليكم فتهلكوا ولا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس".[٣]

لكن قد ضعف هذا القول الإمام ابن عطية (~) حيث قال: "قال ابن عباس المعنى في هذه الآية إنما هو لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ على بعض أي دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه.

قال الفقيه الإمام القاضي: ولفظ الآية يدفع هذا المعنى".[٤]

كما ضعفه الإمام الشنقيطي (~) حيث قال: "هذا الوجه يأباه ظاهر القرآن ; لأن قوله تعالى: ﴿ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ يدل على خلافه، ولو أراد دعاء

---

(١) روى هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما) الإمام الطبري في تفسيره ج١٩ ص٢٣٠، من طريق عطية العوفي وهو إسناد مسلسل بالضعفاء كما حكم عليه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للكتاب.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ج١٩ ص٢٣٠.

(٣) انظر معاني القرآن لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد ج٤ ص٥٦٥، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٤) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ج٤ ص١٩٨، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

بعضهم على بعض، لقال: لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، فدعاء بعضهم بعضا، ودعاء بعضهم على بعض متغايران، كما لا يخفى".(١)

الثاني: أن الآية نهي من الله للمؤمنين أن يدعوا رسول الله (ﷺ) بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع، وقد روي هذا القول عن مجاهد، وقتادة.

فعن قتادة (~): ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ قال: "أمرهم الله أن يفخموه ويشرفوه".(٢)

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي، ج٥ ص٥٥٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في (تفسيره ج٢ ص٤٥٠، برقم (٢٠٧٨)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ) عن قتادة بإسناد صحيح. انظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٣ ص٤٨٤، ط: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

وعن مجاهد: ﴿ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًاۚ ﴾ قال: أمرهم أن يقولوا: يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا: يا محمد في تجهم.[(١)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (~) عند تفسيره لهذه الآية: "خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهي أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله (ﷻ) أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ (الأحزاب: ٢٨)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾ (الأحزاب: ٥٠)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ (الأحزاب: ١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾ (الأحزاب: ٤٥)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (الطلاق: ١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ (التحريم: ١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: ٦٧)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ (المزمل: ١،٢)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ ﴾ (المدثر: ١،٢)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال: ٦٤).

مع أنه (ﷻ) قال: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ (البقرة: ٣٣)، ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ (هود:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ج١٩ ص٢٣٠ عن مجاهد بإسناد صحيح. انظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٣ ص٤٨٤.

٤٦)، ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾ (هود: ٧٦)، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (الأعراف: ١٤٤)، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (ص: ٢٦)، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ (المائدة: ١١٠)".[١]

وقال (~): "وإذا كنا في باب العبارة عن النبي (ﷺ) علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه؛ فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله . تعالى . حيث قال: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ فلا تقول يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضا بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله. والله (ﷻ) خاطب الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . بأسمائهم فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ (هود: ٤٨)، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ (طه: ١١،١٢)، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ (آل عمران: ٥٥)، ولما خاطبه (ﷺ) قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ (المائدة: ٤١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله (ﷻ) لما أخبر عنه (ﷺ): ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، ص٤٢٢،٤٢٣.

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ ﴾ (محمد: ١)

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل".[١]

الثالث: أن المراد بالآية نهي المؤمنين أن يجعلوا حضورهم عنده (ﷺ) إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض، بل يتأدَّبون معه، بأن لا يفارقوا مجلسه إلّا بإذنه.

قال الإمام الزمخشري: "إذا احتاج إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي".[٢]

وقال ابن الأثير (~): "وأما مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسبًا لمعنى تقدَّمه أو لمعنى تأخَّر عنه, والآخر غير مناسب: فالأول: هو ما كان مناسبًا لمعنى تقدَّمه كقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي ج١ ص٢٩٧،٢٩٨، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري، ج٨ ص٧٥، ط: دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة: الثالثة . ١٤٠٧ هـ.

بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ فالدعاء هاهنا يدل على معنيين: **أحدهما:** النهي أن يُدْعَى الرسول باسمه، فيقال: يا محمد، كما يدعو بعضهم بعضًا بأسمائهم، وإنما يقال له: يا رسول الله، أو يا نبي الله.

الآخر: النهي أن يجعلوا حضورهم عنده إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض، بل يتأدَّبون معه، بأن لا يفارقوا مجلسه إلّا بإذنه، وهذا الوجه هو المراد، لمناسبة معنى الآية التي قبله، وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ** ﴾ (النور: ٦٢)".[١]

الرابع: أن الآية نهيٌ من الله للمؤمنين عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه (ﷺ) لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض.[٢]

---

(١) انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ج١ ص٧٧، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

(٢) انظر تفسير الماوردي (النكت والعيون) ج٤ ص١٢٨.

قال المبرد: لا تجعلوا أمره إياكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعض، إذ كان أمره فرضًا لازمًا.(١)

وقد رجح الإمام الرازي (~) هذا القول حيث قال: "وهذا القول أقرب إلى نظم الآية".(٢)

كما رجحه ابن أبي الحديد حيث قال في رده على ابن الأثير: "قال المصنف: ومثال ما يتردد بين معنيين ويحمل على أحدهما القرينة المتقدمة في أول الكلام قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ فإنه يحتمل أن يريد به لا تدعوه باسمه فتقولوا يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضا بأسمائكم، ويحتمل أن يريد به أنكم إذا حضرتم في مجلسه فلا يكن حضوركم كحضوركم في مجالسكم، أي لا تفارقوا مجلسه إلا بإذنه، والزموا معه الأدب؛ قال: والحمل على هذا المحمل أولى لأن قبل هذه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾.

أقول: هذه قرينة متقدمة لعمري، ولكن في الآية قرينة أخرى متأخرة تقتضي حمله على محمل آخر غير هذا وغير المحمل الأول، ولعله الأصح، وهو أن يراد بالدعاء الأمر، يقال دعا فلان قومه إلى كذا أي أمرهم به وندبهم إليه، قال (ﷺ):

---

(١) نقل كلام المبرد الإمامين: الواحدي (~) في تفسيره (البسيط ج١٦ ص٣٩٠،٣٩١، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ) والرازي (~) في تفسيره (مفاتيح الغيب ج١٢ ص٤٢٥).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي ج١٢ ص٤٢٥ بتصرف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ (الأنفال: ٢٤) أي ندبكم، وقال (ﷺ): ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ ﴾ (نوح: ٧) أي أمرتهم وندبتهم، والقرينة المتأخرة قوله: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ (النور: ٦٣) فلم كان حمل الآية على ما ذكره لأجل القرينة المتقدمة أولى من حمله على هذا المحمل لأجل القرينة المتأخرة؟".[١]

وقد جمع الإمام السعدي (~) بين القولين الثاني والرابع فقال: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوبا، حتى إنه تجب إجابة الرسول (ﷺ) في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولا يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فلا تقولوا: "يا محمد" عند ندائكم، أو " يا محمد بن عبد الله " كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه (ﷺ) عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله".[٢]

---

(١) انظر الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ج٤ ص٧٩، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٥٧٦.

٢- أيضاً من الآيات التي تأمر باحترامه وتوقيره وتعظيمه؛ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾ (الحجرات: ١- ٥).

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول (ﷺ) من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي:

أولاً: أن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله (ﷺ) في جميع أمورهم، و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر.[1]

قال الإمام الطبري (~): "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾: يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وبنبوّة نبيه محمد (ﷺ) ﴿ **لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ** ﴾ يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله

(١) انظر المرجع السابق، ص٧٩٩.

لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكيّ عن العرب فلان يقدّم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه.

فعن ابن عباس (رضي الله عنهما): ﴿ **لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.[1]

وعنه (رضي الله عنه): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾؛ قال: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.[2]

وعن مجاهد (~): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾؛ قال: لا تفتاتوا على رسول الله (ﷺ) بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.[3]

وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله.[4]

وقال الكلبي: لا تسبقوا رسول الله (ﷺ) بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم.[1]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، ج٢٢ ص٢٧٢عن ابن عباس (رضي الله عنهما) بسند حسن من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ج٢٢ ص٢٧٢عن ابن عباس (رضي الله عنهما) من طريق عطية العوفي وهو إسناد مسلسل بالضعفاء كما حكم عليه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للكتاب.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره، ج٢٢ ص٢٧٦ عن مجاهد بسند صحيح. انظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين، ج٤ ص٣٦٤.

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي، ج٧ ص٣٣٤.

قال الإمام الواحدي (~) تعقيباً على هذه الأقوال بعد ذكرها: "وهذه عبارات المفسرين ومعناها واحد".[٢]

قال الإمام الحليمي (~): ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾**﴾؛ والمعنى لا تقدموا قولاً أو فعلاً بين يدي قول رسول الله (ﷺ) وفعله فيما سبيله أن يأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله (ﷺ) في ذلك بما يراه؛ فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله (ﷻ) إذا كان رسوله لا يقضي إلا عنه، واتقوا الله أي واحذروا عقابه بتقديمكم بين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو﴿**إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله (ﷺ) أو يأتونه اقتداء به وإتباعًا له عليهم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك، فهو يجريه بما سمعه ويعلمه منكم.[٣]

وقال الإمام ابن كثير (~): "يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعا له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ (رضي الله عنه) حيث قال له النبي

---

(١) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبي إسحاق، ج٩ ص٧٠، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) انظر التفسير البسيط للواحدي، ج٢٠ ص٣٤٢.

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ج٢ ص١٢٧.

(ﷺ) حين بعثه إلى اليمن: " بم تحكم؟" قال: بكتاب الله تعالى، قال (ﷺ): "فإن لم تجد؟ "قال: بسنة رسول الله (ﷺ)، قال (ﷺ): "فإن لم تجد؟ "قال (رضي الله عنه): أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله (ﷺ) لما يرضي رسول الله (ﷺ)"[١]؛ فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.[٢]

ثانياً: من الآداب التي اشتملت عليها الآيات أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي (ﷺ) لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام، وترك الاحترام؛ يقول الله (عز وجل): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣٦ ص٣٣٣، برقم (٢٢٠٠٧)، وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء ج٥ ص٤٤٣،٤٤٤، برقم (٣٥٩٢) بإسناد ضعيف؛ ضعفه الإمام البخاري (~) في (التاريخ الكبير ج٢ ص٢٧٧، برقم (٢٤٤٩)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان)، وقال الإمام ابن الجوزي (~): "هَذَا حَدِيثٌ لا يصح وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه فِي كتبهم ويعتمدون عليه ولعمري إن كان معناه صحيحًا إنما ثبوته لا يعرف لأن الْحَارِث بْن عمرو مجهول وأصحاب مُعَاذِ من أَهْل حمص لا يعرفون وما هَذَا طريقه فلا وجه لثبوته". انظر (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ج٢ ص٢٧٢،٢٧٣، برقم (١٢٦٤)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وقد ذكر سبب تضعيفه مفصلاً الإمام الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٢ ص٢٧٣ . ٢٨٦، برقم (٨٨١)، ط: دار المعارف . الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى)، وفي كتابه (منزلة السنة في الإسلام ص٢١، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الرابعة – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧ ص٣٤٠.

قال الإمام ابن كثير (~): وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ هذا أدب ثان أدب الله ـ تعالى ـ به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي (ﷺ) فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

عن ابن أبي مليكة، قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)؛ رفعا أصواتهما عند النبي (ﷺ) حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس (رضي الله عنه) أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر (رضي الله عنهما) ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى:يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون الآية قال ابن الزبير (رضي الله عنهما) فما كان عمر (رضي الله عنه) يسمع رسول الله (ﷺ) بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر (رضي الله عنه)"[(١)].

وعن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ قلت: يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار ".[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات، باب {**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**} ج٤ ص١٨٣٣، برقم (٤٥٦٤).

(٢) أخرجه الحارث في (مسنده كما في بغية الباحث ج٢ ص٨٨٧، برقم (٩٥٧)، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢م) والبزار في (مسنده ج١ ص١٢٧، المحقق: محفوظ

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) افتقد ثابت بن قيس (رضي الله عنه) فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي (ﷺ) فقد حبط عمله فهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي (ﷺ) فأخبره أنه قال كذا وكذا، قال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: "اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة".[١]

الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)) وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن النبي (ﷺ) متصلا إلا عن أبي بكر، (~)، وحصين بن عمر قد حدث بأحاديث، لم يتابع عليها، وأما من فوق حصين فمخارق مشهور، ومن فوقه فيستغنى عن صفتهم لجلالتهم، قال الهيثمي: "رواه البزار، وفيه حصين بن عمرو الأحمسي وهو متروك وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح" (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٧ ص١٠٨، برقم (١١٣٥٠)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م)، لكن هذا الحديث قد روي من طرق أخرى عن أبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنهما)، فقد رواه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) الحاكم في المستدرك ج٢ ص٥٠١، برقم (٣٧٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، كما رواه البيهقي في (المدخل إلى السنن الكبرى ص٣٧٩، برقم (٦٥٣)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات، باب: **{لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي}** ج٤ ص١٨٣٣، برقم (٤٥٦٥).

وفي رواية أخرى عن أنس (رضي الله عنه) **قال:** "لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ . إلى قوله . ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله (ﷺ) أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقده رسول الله (ﷺ) فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله (ﷺ) ما لك؟

قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي (ﷺ) وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي (ﷺ) فأخبروه بما قال، فقال النبي (ﷺ): "لا، بل هو من أهل الجنة" قال أنس (رضي الله عنه): فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه فقال: بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل (رضي الله عنه)".[١][٢]

فقد نهى الله (عز وجل) عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله (ﷺ) في حياته.

ومعلوم أن حرمة النبي (ﷺ) بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، وبه تعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره (ﷺ) وهم في صخب ولغط، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعا مزعجا كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج١٩ ص٣٩١، برقم (١٢٣٩٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧ ص٣٤١،٣٤٢ بتصرف.

وقد شدد عمر (رضي الله عنه) النكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده (ﷺ) وقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا".[1][2]

ثالثاً: أيضاً من الآداب التي أدب الله . تبارك وتعالى . بها المؤمنين ألا يجهروا لرسول الله (ﷺ) بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه.

وقد اختلف العلماء في معنى قوله: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ ﴾ على قولين:

أحدهما: أن معنى ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ أي لا ترفعوا عنده الصوت كرفع بعضكم صوته عند بعض.

الثاني: أن المراد بالنهي عن هذا الجهر هو المنع من دعائه باسمه أو كنيته كما يدعو بعضهم بعضاً بالاسم والكنية، وهو معنى قوله ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ﴾، ولكنْ دعاؤه بالنبوة والرسالة كما قال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾.[3]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب المساجد، باب رفع الصوت في المساجد، ج١ ص١٧٩، برقم (٤٥٨) عن السائب بن يزيد بلفظ: "كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتني بهذين فجئته بهما قال من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (ﷺ)".

(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٤٠٣.

(٣) انظر تفسير الماوردي، ج٥ ص٣٢٦،٣٢٧.

وقد روي هذا القول عن مجاهد[١]، ومقاتل بن سليمان.[٢]

قال الإمام الشنقيطي (~): "وهذه الآية الكريمة علم الله فيها المؤمنين أن يعظموا النبي (ﷺ) ويحترموه ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضا.

وإنما أمروا أن يخاطبوه خطابا يليق بمقامه ليس كخطاب بعضهم لبعض، كأن يقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله ونحو ذلك.

وقوله: ﴿ **أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ** ﴾ أي لا تفعلوا ذلك لئلا تحبط أعمالكم، أو ينهاكم عن ذلك كراهة أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون أي: لا تعلمون بذلك.

وقد بين . تعالى . أن توقيره واحترامه (ﷺ) بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي أخلصها لها وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾** ﴾ (الحجرات: ٣)".[٣]

---

(١) انظر تفسير مجاهد لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي، ص٦١٠، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(٢) انظر تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، ج٤ ص٩٠، المحقق: عبد الله محمود شحاته، ط: دار إحياء التراث . بيروت، الطبعة: الأولى . ١٤٢٣ هـ.

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٤٠١،٤٠٢ بتصرف.

رابعاً: أيضاً من جملة الآداب التي أدب الله ـ تبارك وتعالى ـ بها المؤمنين في الآيات الكريمة ألا يقدموا على إزعاج رسول الله (ﷺ) بالمناداة عليه بالخروج وهو في بيوت نسائه، بل الأولى لهم والأجدر بهم أن يصبروا وينتظروه حتى يخرج إليهم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (الحجرات: ٤،٥)

قال الإمام السعدي (~) عند تفسيره لهاتين الآيتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾.

نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله ـ تعالى ـ بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله (ﷺ) فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد يا محمد، أي: اخرج إلينا، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب.[١]

(١) روى الإمام الطبراني في المعجم الكبير، ج٥ ص٢١٠، برقم (٥١٢٣) سبب نزول هذه الآية عن زيد بن أرقم (رضي الله عنه) قال: "جاء ناس من العرب، فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به، وإن كان ملكا عشنا في جناحه، فانطلقت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته بما قالوا، ثم جاءوا إلى حجر النبي (ﷺ)، فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد، قال: فأنزل الله (عز وجل) "**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**"

فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب، والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلات".(١)

قال الشيخ محمد الصادق عرجون (~): "ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي (ﷺ) وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته (ﷺ) فوق كل منزلة أحد من الخلق، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي (ﷺ) في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه، والإصغاء إلى حديثه، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره (ﷺ) توقيرا يجلي رفيع قدره، وعظيم مقامه، ويظهر تشريف الله . تعالى . له بما ميزه به على سائر الخلق، وقد

[الحجرات: ٤] وأخذ رسول الله (ﷺ) بأذني وقال: «لقد صدق الله قولك يا زيد"، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧ ص١٠٨، برقم (١١٣٥٠): "وفي إسناده داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات"، وقد حسن الإمام السيوطي (~) هذه الرواية في (لباب النقول في أسباب النزول ص١٧٩، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان)، وفي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٧ ص٥٥٢، ط: دار الفكر . بيروت).

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٧٩٨،٧٩٩.

اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته (ﷺ) بعد وفاته كحرمته في حياته".[1]

(١) انظر كتاب محمد رسول الله (ﷺ) منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون ج٤ ص٣٣٣.

المبحث السادس

الحق السادس: الصلاة والسلام عليه ـ صلى الله وسلم وبارك عليه

فإن الله . تبارك وتعالى . قد أمر عباده المؤمنين بالصلاة والتسليم على نبيه ورسوله محمد (ﷺ)، وهذا تشريف منه (ﷻ) له وإظهار لفضله ومكانته عنده (ﷻ)، وقد أمر الله . تبارك وتعالى . المؤمنين بالصلاة والسلام . على نبيهم بعد أن أخبرهم أنه وملائكته يصلون عليه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

قال الإمام ابن كثير (~) عند تفسيره للآية: "والمقصود من هذه الآية أن الله (ﷻ) أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعا".[(١)]

وقال الإمام السعدي (~) عند تفسيره للآية أيضاً: "وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله (ﷺ) ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ تعالى ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٦ ص٤٠٥.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له (ﷺ)، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد".[1]

معنى الصلاة على النبي (ﷺ)

لما كان معنى الصلاة في اللغة الدعاء يقال صلى عليه، أي دعا له، وهذا المعنى غير معقول في حق الله ـ تعالى ـ فإنه لا يدعو له، لأن الدعاء للغير طلب نفعه من ثالث.

لهذا اختلف العلماء في معنى الصلاة منه (ﷻ) على ثلاثة أقوال:

الأول: أن معنى صلاة الرب (ﷻ) الرحمة.

فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن معنى صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار.[2]

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص٦٧١.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج١١ ص١٥٦، ط: دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وعن الضحاك قال: "صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء".[١]

الثاني: أن معنى صلاة الله المغفرة.

فعن الضحاك (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) قال: صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء.[٢]

وعن مقاتل بن سليمان قال: أما صلاة الرب (ﷻ) فالمغفرة للنبي (ﷺ)، وأما صلاة الملائكة فالاستغفار للنبي.[٣]

وعن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) فِي قَوْله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ (الأحزاب: ٤٣) قَالَ: الله يغْفر لكم وَتَسْتَغْفِر لكم مَلَائكَته.[٤]

قال الإمام ابن القيم (~) معقباً على هذا القول الثاني: وَهَذَا القَوْل من جنس الَّذِي قبله.[٥]

---

(١) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (في فضل الصلاة على النبي (ﷺ) ص٧٩، برقم (٩٥) ، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٩٧٧هـ)، وضعفه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب.

(٢) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (في فضل الصلاة على النبي (ﷺ)، ص٨٠، برقم (٩٧)، وضعفه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب.

(٣) انظر تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخى ج٣ ص٥٠٦.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في (تفسيره ج٩ ص٣١٣٩، برقم (١٧٧٠٥) بدون إسناد، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة . ١٤١٩ هـ).

(٥) انظر جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ص١٥٨، المحقق: شعيب الأرناؤوط . عبد القادر الأرناؤوط، ط: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

الثالث: أن معنى صلاة الله ـ تعالى ـ على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته.

قال أبو العالية (~): "صَلاَةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ الْمَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ".(1)

وقد ضعف الإمام ابن القيم (~) القولين الأول والثاني وذكر في تضعيفهما عدة وجوه منها:

١- أن الله (ﷻ) فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧** ﴾ (البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧) فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما هذا أصل العطف وأما قولهم

(وألفى قولها كذبا ومينا...)

فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين(2) أخص من الكذب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب باب (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) ج٤ ص١٨٠١عن أبي العالية تعليقا، كما أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي في فضل الصلاة على النبي (ﷺ)، ص٧٩، برقم (٩٥)، وصححه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب.

(٢) المين: الكذب؛ يقال مان يمين ميناً فهو مائن: أي كاذب. انظر تهذيب اللغة للأزهري ج١٥ ص٣٧٩، مادة: مين، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢- أن صلاة الله (ﷻ) خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وأما رحمته فوسعت كل شيء فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمرتها ومقصودها وهذا كثيرا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن والرسول (ﷺ) يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر وهو جزء مسمى المغفرة وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك كثيرة.

٣- أنه لا خلاف في جواز الترحم على المؤمنين واختلف السلف والخلف في جواز الصلاة على الأنبياء على ثلاثة أقوال؛ فعلم أنهما ليسا بمترادفين.

٤- أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال اللهم ارحم محمدا وآل محمد وليس الأمر كذلك.

٥- أنه لا يقال لمن رحم غيره ورق عليه فأطعمه أو سقاه أو كساه أنه صلى عليه ويقال إنه قد رحمه.

٦- أن الإنسان قد يرحم من يبغضه ويعاديه فيجد في قلبه له رحمة ولا يصلي عليه.

٧- أنه قد ثبت عن النبي (ﷺ) في الحديث الصحيح "أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا"، وأنه (ﷻ) قال له إنه من صلى عليك من أمتك مرة صليت عليه بها عشرا وهذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل فصلاة الله على المصلي على رسوله جزاء لصلاته هو عليه ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله (ﷺ) ليست هي رحمة من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها وإنما هي ثناء على الرسول (ﷺ) وإرادة من الله تعالى أن يعلي

ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا والجزاء من جنس العمل فمن أثنى على رسول (ﷺ) جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه فصح ارتباط الجزاء بالعمل ومشاكلته له ومناسبته له كقوله: "من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة".[١]

و "من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" [٢]، و"من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ج٤ ص٢٠٧٤، برقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة (ﷺ) مرفوعاً بلفظ: "عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج١٦ ص٢٦٤، برقم (١٠٤٢٠)، وابن ماجة في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سئل عن علم فكتمه ج١ ص٩٨، برقم (٢٦٦) عن أبي هريرة (ﷺ) مرفوعا، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب ج١ ص١٦٠، برقم (١٢٠)، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م)، وفي تعليقه على مشكاة المصابيح ج١ ص٧٧، برقم (٢٢٣).

صلى علي النبي (ﷺ) مرة صلى الله عليه بها عشرا" [١]، ونظائره كثيرة.

٨- أن أحدا لو قال عن رسول الله (ﷺ) (~) أو قال رسول الله (~) بدل (ﷺ) لبادرت الأمة إلى الإنكار عليه وسموه مبتدعا غير موقر للنبي (ﷺ) ولا مصل عليه ولا مثن عليه بما يستحقه ولا يستحق أن يصلي الله عليه بذلك عشر صلوات ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لم يمتنع شيء من ذلك.

٩- أن الله (ﷻ) قال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣) فأمر (ﷻ) ألا يُدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضا بل يقال يا رسول الله ولا يقال يا محمد وإنما كان يسميه باسمه وقت الخطاب الكفار وأما المسلمون فكانوا يخاطبونه يا رسول الله وإذا كان هذا في خطابه فهكذا في مغيبه لا ينبغي أن يجعل ما يدعى به له من جنس ما يدعو به بعضنا لبعض بل يدعى له بأشرف الدعاء وهو الصلاة عليه ومعلوم أن الرحمة يدعى بها لكل مسلم بل ولغير الآدمي من الحيوانات كما في دعاء الاستسقاء اللهم ارحم عبادك وبلادك وبهائمك.

١٠- أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلا والمعروف عند العرب من معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء قال:

وإن ذكرت صلى عليها وزمزما[١].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي (ﷺ) ثم يسأل له الوسيلة ج١ ص٢٨٨، برقم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) بلفظ: "أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: " إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة".

أي برك عليها ومدحها ولا تعرف العرب قط صلى عليه بمعنى الرحمة فالواجب حمل اللفظة على معناها المتعارف في اللغة.

١١- أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله تعالى أن يرحمه فيقول اللهم ارحمني كما علم النبي (ﷺ) الداعي أن يقول "اللهم أغفر لي وارحمني وعافني وارزقني؛ فلما حفظها قال أما هذا فقد ملأ يديه من الخير"[٢]؛ ومعلوم أنه

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من بيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس في قصيدة يمدح فيها إياس بن قبيصة الطائي. (انظر ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ص٢٩٣، شرح وتعليق الدكتور: محمد حسين؛ أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فاروق، ط: مكتبة الآداب بالجماميزت).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٣١ ص٤٥٥، برقم (١٩١١٠)، وعبد الرزاق في (مصنفه ج٢ ص١٢١، برقم (٢٧٤٧)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المجلس العلمي . الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ)، والدارقطني في (سننه، كِتَابُ الصَّلَاةِ، باب ما يجزيه من الدعاء عند العجز عن قراءة فاتحة الكتاب ج٣ ص٨٩، برقم (٦١١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط . محمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي . دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) عن ابن أبي أوفى بلفظ: "جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، إني لا أستطيع آخذ شيئا من القرآن، فعلمني ما يجزئني، قال: "قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله" قال: يا رسول الله، هذا لله (ﷻ)، فما لي؟ قال: «قل اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني وارزقني»، ثم أدبر وهو ممسك كفيه. فقال النبي (ﷺ): «أما هذا، فقد ملأ يديه من الخير". واللفظ لأحمد، وقد حسن الألباني هذا الحديث في صحيح الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٣٧، برقم (١٥٦٢).

وقد روى مسلم هذا الحديث في (صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ج٤ ص٢٠٧٢، برقم (٢٦٩٦)) عن مصعب بن سعد، عن= =أبيه بلفظ: "جاء أعرابي إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: علمني كلاما أقوله، قال: "قل: لا إله إلا الله

لا يسوغ لأحد أن يقول اللهم صل علي بل الداعي بهذا معتد في دعائه والله لا يحب المعتدين بخلاف سؤال الرحمة فإن الله ـ تعالى ـ يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته فعلم أنه ليس معناهما واحدا.

١٢- أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وقوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ (الأحزاب: ٤٣)، وقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ (التوبة: ١١٧).

وقول النبي (ﷺ): "لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها"[(١)]. وقوله: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[(٢)].

وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم" قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: "قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ ص٢٢٣٥، برقم (٥٦٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ج٤ ص٢١٠٩، برقم (٢٧٥٤) عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مرفوعاً.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الأدب، باب في الرحمة ج٧ ص٢٩٨ برقم (٤٩٤١)، والبيهقي في (الأسماء والصفات، باب قول الله (عز وجل): {**أأمنتم من في السماء**} [الملك: ١٦] ج٢ ص٣٢٨، برقم (٨٩٣)، ط: مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه:= =عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي)، وفي (الآداب

وقوله: "من لا يرحم لا يُرحم"[١]، وقوله: "والشاة إن رحمتها رحمك الله".[٢]

فمواضع استعمال الرحمة في حق الله وفي حق العباد لا يحسن أن تقع الصلاة في كثير منها بل في أكثرها فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة والله

ص١٥، برقم (٢٨)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) مرفوعاً بلفظ: " الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" واللفظ للبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١ ص٦٦١، برقم (٣٥٢٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ ص٢٢٣٥، برقم (٥٦٥١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته (ﷺ) الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ج٤ ص١٨٠٨، برقم (٢٣١٨) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) بلفظ: " قبل رسول الله (ﷺ) الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله (ﷺ) ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٢٤ ص٣٥٩، برقم (١٥٥٩٢)، والبخاري في (الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض ص١٣٦، برقم (٣٧٣)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) عن معاوية بن قرة عن أبيه بلفظ: " أن رجلا قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة، وأنا أرحمها . أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها – فقال: " والشاة إن رحمتها رحمك الله، والشاة إن رحمتها رحمك الله "، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

أعلم.[١]

وقد ذكر الإمام السخاوي (~) وجهاً من وجوه تضعيف كون الصلاة من الله بمعنى الرحمة لم يذكره الإمام ابن القيم (~) وهو: " أن الصحابة (ﷺ) فهموا المغايرة بين الصلاة والرحمة من قوله: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمًا﴾ حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع ما تقدم من ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبي (ﷺ) فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام.[٢]

فأولى الأقوال بالصواب في تفسير صلاة الله (ﷻ) على نبيه قول أبي العالية (~): "أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه".

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء لنبيه (ﷺ).

فصلاتنا عليه: إنما هي ثناء عليه (ﷺ) وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيما وتشريفا.

معنى التسليم على النبي (ﷺ).

في معنى التسليم الوارد في الآية الكريمة ذكر العلماء قولين:

الأول: أن معنى التسليم الانقياد لأوامره (ﷺ) بالطاعة والقبول والإذعان؛ فمعنى ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمًا﴾ سلموا لأمره بالطاعة له تسليماً.[٣]

---

(١) انظر بيان هذه الوجوه في جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ص١٥٨ . ١٦٨ بتصرف.

(٢) انظر القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ص٢٠، ط: دار الريان للتراث.

(٣) انظر تفسير النكت والعيون للماوردي ج٤ ص٤٢٢، محاسن التأويل للقاسمي ج٨ ص١١٠.

الثاني: أن المراد بالتسليم أن يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فمعنى ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: حيوه بتحية الإسلام.(١)

وبعد عرض القولين في معنى التسليم؛ يمكن القول بأنه لا مانع من إرادة المعنيين وإن كنت أميل إلى ترجيح القول الثاني؛ وذلك لأن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله (ﷺ) تؤيد هذا المعنى؛ من هذه الأحاديث:

١- ما رُوي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): « إن لله في الأرض ملائكة سياحين، يبلغوني من أمتي السلام».(٢)

٢- ما روي عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: "ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد (عليه السلام)".(٣)

---

(١) انظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، ج٤ ص٣٠٤، معالم التنزيل للبغوي ج٦ ص٣٧٢ بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٦ ص١٨٣، برقم (٣٦٦٦)، وابن أبي شيبة في (مسنده ج١ ص١٨٤، برقم (٢٦٩)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، ط: دار الوطن . الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م)، والطبراني في المعجم الكبير ج١٠ ص٢١٩، برقم (١٠٥٢٨)، والحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٥٦، برقم (٣٥٧٦)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ج٦ ص٨٤٢، برقم (٢٨٥٣)، وفي صحيح الجامع ج١ ص٤٣٤، برقم (٢١٧٤)، وفي صحيح الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٩٢، برقم (١٦٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب في الصلاة على النبي (ﷺ) وزيارة قبره ج٣ ص٣٨٤، برقم (٢٠٤١)، والبيهقي في (شعب الإيمان ج٣ ص٤٩٠، برقم (٤١٦١)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ ص٣٣٨، برقم (٢٢٦٦)، وفي صحيح الجامع ج٢ ص٩٩١، برقم (٥٦٧٨).

٣- **ما روي عن عبد الرحمن بن عوف** (ﷺ) **قال:** خرج رسول الله (ﷺ) فتوجه نحو صدقته فدخل، فاستقبل القبلة فخر ساجدا، فأطال السجود حتى ظننت أن الله (ﷻ) قبض نفسه فيها، فدنوت منه، ثم جلست فرفع رأسه، فقال: "من هذا؟ "قلت عبد الرحمن، قال: "ما شأنك؟ "قلت: يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله (ﷻ) قد قبض نفسك فيها، فقال: "إن جبريل (عليه السلام)، أتاني فبشرني، فقال: إن الله (ﷻ) يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله (ﷻ) شكرا"[1].

٤- ما روي عن أبي طلحة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقلنا: إنا لنرى البشر في وجهك، فقال: "إنه أتاني ملك فقال: يا محمد، إن ربك يقول: أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد من أمتك، إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشرا".[2]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٣ ص٢٠١، برقم (١٦٦٤)، والحاكم في (المستدرك ج١ ص٣٤٤، برقم (٨١٠)، وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقد حسن هذا الحديث الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٨٩، برقم (١٦٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٢٦ ص٢٨٠، برقم (١٦٣٦١)، والنسائي في (المجتبى من السنن، كتاب صفة الصلاة، باب فضل التسليم على النبي (ﷺ) ج٣ ص٤٤، برقم (١٢٨٣)، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، والدارمي في (سننه، كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ: فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ج٣ ص١٨٢٥، برقم (٢٨١٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ج١ ص٧٥، برقم (٧١).

٥- ما رُوي عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) أنه قيل: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد".[١]

فظاهر هذه الأحاديث يدل على أن المراد بالتسليم أن يقول العبد: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ".

وقد ذكر الإمام الفيروزأبادي (~) في كتابه "الصلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر "معنى أن يقول العبد: "السلام عليك أيها النبي " . فقال: "وأما التسليم وهو أن يقال السلام عليك أيها النبي، وأيها الرسول، وفي التشهد السلام عليك أيها النبي، **ومعناه:** السلام الذي هو اسم من أسماء الله . تعالى . عليك، **وتأويله:** لا خَلَوْتَ من الخيرات والبركات وسَلِمْتَ من المكاره والآفات، إذ كان اسم الله . تعالى . إنما يذكر على الأمور توقعاً لاجتماع معاني الخير والبركة فيها، وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنها، **ويحتمل** أن يكون السلام بمعنى السلامة أي ليكن قضاء الله . تعالى . عليك بالسلامة، أي سلمت من الملام والنقائص.

فإذا قلت: "اللهم سلم على محمد" فإنما تريد به اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً، وأمته تكاثراً، وذكره ارتفاعاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير ،تفسير سورة الأحزاب، باب: **{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}**، ج٤ ص١٨٠٢، برقم (٤٥١٩).

فإن قيل: فلم حيَّ بـ "عليك" ولم يقل لك؟ قلتُ لأن المراد والمعني: قضاءُ الله تعالى بهذا، وقضاء الله تعالى إنما ينفذ في العبد من قبل الملك والسلطان الذي له غلبة، فكان قضاء الله عليك بالسلامة أشبهَ من قضاء الله لك بها".[١]

(١) انظر الصلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ص٦٦،٦٧، حققه وعلق عليه محمد نور الدين الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ط: طبع صدقة على روح المغفور له الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، سنة ١٣٨٥هـ. ١٩٦٦م.

الخاتمة

الحمد لله المتفضل بالإنعام والإجلال والإحسان والإكرام وحسن الختام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة وأزكي السلام.

وبعد

فهذه بعض حقوق النبي (ﷺ) التي أوجب الله ـ تبارك وتعالى ـ على الأمة أن تقوم بها تجاه نبيها (ﷺ) أرجو أن أكون قد وفقت في بيانها وعرضها للمسلمين

وقد توصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى عدة نتائج هي:

أولاً: أن القيام بهذه الحقوق من مقتضيات شهادة أن محمد رسول الله، فمن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، أن يُؤمن به، وأن يُطاع فيما أمر، وأن يُصدق فيما أخبر، وأن يُنتهي عما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع وأمر.

ثانياً: على المسلمين أن يعرفوا هذه الحقوق التي أمرهم الله (ﷻ) بالقيام بها تجاه نبيهم (ﷺ)، وأن يبادروا بامتثالها والقيام بها.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالرسول (ﷺ)، وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله ـ (ﷻ)، ولذلك كان أول أركان الإسلام" شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله.

رابعاً: وجوب طاعته (ﷺ)، وأنها سبب عظيم للفوز بالجنة والنجاة من النار.

خامساً: أول علامة من علامات محبة العبد لربه، هي اتباع رسوله (ﷺ) في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال.

سادساً: اتباع النبي (ﷺ) والاقتداء به يؤدى إلى محبة الله ـ تعالى ـ للعبد وإلى مغفرة ذنوبه.

سابعاً: محبةُ النبيّ (ﷺ) أصل عظيم من أصولِ الإيمانِ، وهي مقارِنة لمحبةِ اللَّه (ﷻ) في كثير من آيات القرآن الكريم.

ثامناً: حق النبي (ﷺ) في الإجلال والتوقير والتعظيم، وأن تعظيم النبي (ﷺ) وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان.

تاسعاً: على المسلم أن يكثر من الصلاة والسلام على الرسول (ﷺ) حتى يحوز بصلاته هذه الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وفي الختام أسأل الله (ﷻ) أن يرزقنا حسن التأسي والاقتداء بالرسول (ﷺ)، وأن يحيينا على سنته، وأن يمتنا على ملته، وأن يحشرنا في زمرته، وتحت رايته، وأن يرزقنا شفاعته، وأن يجمعنا به في مستقر ـ رحمته؛ كما آمنا به ولم نره أسأل الله (ﷻ) ألا يفرق بيننا وبينه حتى يدخلنا مدخله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم جل من أنزله
ثانياً: التفسير وعلوم القرآن:

١. أضواء البيان للشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م.
٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٣. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٤. التفسير البسيط للواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٥. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي، بدون إسناد، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة . ١٤١٩ هـ).
٦. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون . بيروت.
٧. تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.

٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
٩. تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.
١٠. تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.
١١. التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م).
١٢. التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . الفجالة . القاهرة، الطبعة: الأولى.
١٣. تفسير عبد الرزاق لعبد الرزاق الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
١٤. تفسير مجاهد لأبي الحجاج مجاهد بن جبر، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ . ١٩٨٩م.
١٥. تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخى، المحقق: عبد الله محمود شحاته، ط: دار إحياء التراث . بيروت، الطبعة: الأولى . ١٤٢٣ هـ.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
١٧. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي، ط: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ط: دار الفكر ـ بيروت.
٢١. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جمع وترتيب: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط: دار العاصمة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.
٢٢. زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
٢٣. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ لمحمد الأمين الشنقيطي، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
٢٤. الكشاف للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ . ٢٠٠٢م.

٢٦. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

٢٧. محاسن التأويل للقاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٩. معالم التنزيل للبغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٣٠. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣١. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٣٢. مفاتيح الغيب للرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٣. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين، ط: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة . المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه:

٣٤. الأدب المفرد للبخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م.
٣٥. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية . المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢م.
٣٦. خطبة الحاجة للألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .٢٠٠٠م.
٣٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى .
٣٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، ط: دار المعارف . الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.
٣٩. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابي الحلبي.
٤٠. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرنؤوط . محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩م.
٤١. سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٤٢. سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط . محمد

زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي . دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٣. سنن الدارمي لعبد الله بن عبد الرحمن أبي محمد الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ . ٢٠٠٠م.

٤٤. السنن الكبرى للبيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣م.

٤٥. شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط . محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي . دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٤٦. شعب الإيمان للبيهقي، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى، سنة١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٤٧. صحيح الأدب المفرد للألباني، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

٤٨. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة . بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

٤٩. صحيح الترغيب والترهيب للألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٥٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، ط: المكتب الإسلامي.

٥١. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت.
٥٢. ظلال الجنة في (تخريج السنة لابن أبي عاصم) للألباني، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٣هـ .١٩٩٣م.
٥٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٥٤. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة . بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
٥٥. المجتبى من السنن للنسائي، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
٥٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م.
٥٧. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
٥٨. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٥٩. مسند ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، ط: دار الوطن . الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٦٠. مسند الإمام الشافعي لمحمد بن إدريس الشافعي، ط: دار الكتب العلمية . بيروت.
٦١. مسند البزار لأبي بكر البزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)).
٦٢. مسند الشهاب لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة . بيروت.
٦٣. المسند للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون . إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.
٦٤. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.
٦٥. مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد . الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٦٦. مصنف عبد الرزاق لعبد الرزاق الصنعاني ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المجلس العلمي . الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
٦٧. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية . القاهرة، الطبعة: الثانية.

٦٨. منزلة السنة في الإسلام للألباني، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الرابعة – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

رابعاً: كتب العقيدة:

٦٩. الأسماء والصفات للبيهقي، ط: مكتبة السوادي، جدة . المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٧٠. التوسل أنواعه وأحكامه للألباني، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: آلف بينها ونسقها محمد عيد العباسي.

٧١. شعب الإيمان للبيهقي، ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٧٢. المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني أبي عبد الله الحَلِيمي، المحقق: حلمي محمد فودة، ط: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م.

خامساً: كتب الغريب واللغة والأدب:

٧٣. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق الدكتور: محمد حسين؛ أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فاروق، ط: مكتبة الآداب بالجماميزت).

٧٤. الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

٧٥. لسان العرب لابن منظور، ط، دار صادر . بيروت، الطبعة: الثالثة . ١٤١٤ هـ.
٧٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.
٧٧. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

سادساً: كتب التاريخ والتراجم والسير والشمائل:

٧٨. التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
٧٩. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، ط: دار الرشيد . سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.
٨٠. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.
٨١. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ط: دار الجيل . بيروت، سنة النشر ١٤١١هـ.
٨٢. السيرة النبوية من البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦م.

٨٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

٨٤. لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ط: المحقق: دائرة المعرف النظامية . الهند، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

سابعاً: كتب الأخلاق والآداب والرقائق:

٨٥. الآداب للبيهقي، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٨٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم، المحقق: شعيب الأرناؤوط . عبد القادر الأرناؤوط، ط: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

٨٧. الدعاء للطبراني، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٨٨. الصلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، حققه وعلق عليه محمد نور الدين الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ط: طبع صدقة على روح المغفور له الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، سنة ١٣٨٥هـ . ١٩٦٦م.

٨٩. فضل الصلاة على النبي (ﷺ) وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما ألف فيها لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط: دار ابن خزيمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩٠. فضل الصلاة على النبي (ﷺ) للجهضي ، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٩٧٧هـ.

٩١. القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ط: دار الريان للتراث.

ثامناً: كتب أخرى:

٩٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٩٣. تحريم آلات الطرب للألباني، ط: مؤسسة الريان بيروت، لبنان/ دار الصديق، الجبيل، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٩٤. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان ـ دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ـ ١٤٢٤ هـ.
٩٥. درء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
٩٦. الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: أحمد شاكر، ط: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ ـ١٩٤٠م.
٩٧. الصارم المسلول على شاتم الرسول لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي ـ المملكة العربية السعودية.
٩٨. مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات



